اللغة وعلوم المجتمع

تأليف

الأستاذ الدكتور عبده الراجحي

أستاذ العلوم اللغوية

وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

رحمه الله تعالى

(١٣٥٦ – ١٤٣١هـ/ ١٩٣٧ – ٢٠١٠م)

قرأه واعتنى به:

محمود عبد الصمد الجيار

الناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا

كِتابٌ قد حوى دُرَرًا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهًا حقوق الطبع محفوظة
لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ: ٢٠١٣م

رقم الإيداع

٢٠١٠٨/ ٢٠١٢

الترقيم الدولي

978 -977 -272 -669 -1

دار الكتب والوثائق القومية

الراجحي، عبده

اللغة وعلوم المجتمع

تاليف/ عبده الراجحي.

طنطا؛ دار الصحابة للتراث، 2012

٧٢ ص - ٢٤ سم

تدمك: ١- ٦٦٩ – ٢٧٢ – ٩٧٧ - ٩٧٨

٢ر٢٢٦

للنشر والتحقيق والتوزيع

المراسلات
طنطا - شارع المديرية
أمام محطة بنزين التعاون
تليفاكس: 3331587
محمول : 0123780573
ص . ب: 477
الرمز البريدي: 31599
موقعنا على الإنترنت
www.dsahaba.net

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا...

وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان...

واجعلنا من الراشدين...

إهداء

إلى الأستاذ الدكتور عبده الراجحي...

في جوار ربٍ كريم...

جمعنا الله به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين...

وحَسُنَ أولئك رفيقًا...

محمود عبد الصمد الجيار

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعال، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونُصلي ونُسلم على سيدنا مُحمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ...

فمن الثابت أن «العلوم» تُشكل «منظومة» تتشابك فيها المعارف والموضوعات، ويظهر ذلك «التشابك» في نطاق منظومة «العلوم الإنسانية» و«البيولوجية»؛ لارتباطها بموضوع واحد هو «الإنسان» في جوانبه البيولوجية والحضارية والاجتماعية. و«علم اللغة الاجتماعي» تتوقف دراسته على اللغويين والأنثربولوجيين معًا؛ فلكل لغة «نظامها» الخاص في الأداء، و«إطارها» الاجتماعي الذي تظهر فيه، و«اللغة» تواصل، وصلتها بالمجتمع ليست في حاجةٍ إلى بيان؛ إذ لا يُتصور وجود مُجتمع إنساني مهما تخلفت حضارته بدون لغة كلامية؛ فظهر

«علم اللغة الاجتماعي» دارسًا للغة باعتبارها تتحقق في «مُجتمع»؛ أي إنه يدرس «الظاهرة» اللغوية حين يكون هناك تفاعل لغوي.

واللغة من أهم عناصر «الحضارة» ولكل مجتمع من المجتمعات علاقات وثيقة بين لغته وحضارته؛ وتُعد اللغة المُعبر الأهم عن ثقافة المجتمع، والوسيلة الأشمل للاتصال؛ وهذا هو ميدان «الأنثربولوجي اللغوي» حيث يتوفر على دراسة العلاقات الوثيقة القائمة بين لغة المجتمع الإنساني وتطوراته الحضارية والثقافية، والاجتماعية.

هذا، ويهتم كتاب (اللغة وعلوم المجتمع) للأستاذ الدكتور عبده علي إبراهيم الراجحي -رحمه الله تعالى- بإيضاح الأُسس المنهجية التي تصل «علم اللغة» بعلوم «المجتمع»؛ وبخاصة «الأنثربولوجيا الاجتماعية»، و«الأنثربولوجيا الثقافية»؛ وذلك بأسلوبه المُتميز، ولغته السهلة، وبيانه المُمتع والمُمتنع، وترتيبه للقضايا البعيد عن

الحشو والتعقيد. وقد ظهر هذا الكتاب منذ أعوام نيفت على خمسة وثلاثين عامًا، وها هو ذا الآن يُعاود الظهور بفضل من الله تعالى.

شكر الله تعالى لدار الصحابة للتراث بطنطا اهتمامها بنشر هذا الكتاب.

كما ندعوه جل جلاله أن يجعل هذا الكتاب في ميزان صاحبه، وأن يتغمده بواسع رحماته، إنه سميع مُجيب، والحمد لله رب العالمين.

محمود عبد الصمد الجيار

الثلاثاء: ٢٦ من رمضان ١٤٣٣ هـ

١٤ من أغسطس «آب» ٢٠١٢م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا مُحمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

فهذا فن من فنون البحث اللغوي، أخذت أصوله تنضج وتستقر في السنوات الأخيرة، وهو الذي يُعرف الآن بعلم اللغة الاجتماعي.

والذي لا شك فيه أن صلة اللغة بالمجتمع ليست في حاجة إلى بيان، وقد ظهرت في العربية أبحاث تعرض لهذه الصلة، وتتناول عددًا من قضاياها[1].

والذي لا شك فيه أيضًا أن تطور الدرس اللغوي في العصر الحديث كان يُرافقه تطور في علوم المجتمع، وقد أدى هذا التعاصر، مع الاشتراك في كثير من موضوعات الدرس، إلى اتصال طبيعي بين مناهج البحث وإلى تداخل في بعضها أحيانًا.

والمحاولة التي نُقدمها لا تقصد إلى درس «اللغة والمجتمع» أو «اللغة في المجتمع»؛ أي لا تقصد إلى دراسة تحليلية لظواهر لغوية مُعينة مُرتبطة بظواهر اجتماعية مُعينة، وإنما تهدف إلى بيان الخطوط المنهجية العامة التي تصل «علم اللغة» «بعلوم المجتمع» وبخاصة الأنثربولوجيا الاجتماعية والأنثربولوجيا الثقافية.

وقد أفضت بنا هذه الغاية إلى تقسيم البحث إلى عدة موضوعات، عرفنا في أولها بعلم اللغة الاجتماعي نشأةً ومنهجًا، ثم عرضنا لإسهام الأنثربولوجيين في الدرس اللغوي، ثم تناولنا عددًا من مجالات البحث في علم اللغة الاجتماعي كاللغة والاتصال، واللهجات الإقليمية، واللهجات الاجتماعية.

(١) من هذه الأبحاث: كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي «اللغة والمجتمع» دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١، وكتاب يسبرسن الذي ترجمه الدكتور عبد الرحمن أيوب بعنوان: «اللغة بين الفرد والمجتمع» – مكتبة الأنجلو ١٩٥٢، وكتاب أُستاذنا الدكتور محمود السعران «اللغة والمجتمع» – المطبعة الأهلية ببنغازي ١٩٥٨، وكتاب لويس «اللغة في المجتمع» الذي ترجمه الدكتور تمام حسان دار أخبار الكتب العربية ١٩٥٩.

والبحث بعد يتسم بما تقتضيه طبيعته من التركيز والإيجاز، ومن الإشارة إلى المحاولات الجارية في هذا الميدان، مع التأكيد على وسائل البحث ومناهجه.

وإني لأدين بالفضل لأستاذنا الدكتور أحمد أبو زيد أستاذ الأنثربولوجيا بجامعة الإسكندرية، الذي زودني بعدد طيب من مصادر البحث الأنثربولوجي، والذي كانت لمناقشاته وإيضاحاته أثر كبير في فهم بعض جوانب هذا الموضوع، ويُسعدني حقًّا أن أشكر لطلاب السنة الثانية بقسم الأنثربولوجيا في العام الجامعي ٧٦/ ١٩٧٧ استقبالهم الطيب لهذا الموضوع، وقد كانت مناقشاتهم الواعية معينًا أكيدًا على متابعة هذا البحث.

ونسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه.

وبه وحده التوفيق.

عبده الراجحي

علم اللغة الاجتماعي

لم تكن دراسة اللغة وقفًا على «اللغويين» مُنذ القديم، ولم تزل الحال كذلك. وذلك أمر طبيعي، فاللغة هي أهم ما يُميز الإنسان، وهي أخطر نشاط إنساني، بل لا يكاد يتصور نشاط ما دون لغته. ومن ناحيةٍ أُخرى يُدرك «اللغويون» - رغم مُناداتهم «بعلمية» الدرس اللغوي و«استقلاله» - أن دراستهم لا يمكن أن تعتمد على «اللغة» وحدها، وإنما هم يستعينون بعلوم كثيرة كالجغرافيا والإحصاء والفيزياء وعلم النفس والاجتماع والأنثربولوجيا وغيرها. وقد أدى اتصال علم اللغة بهذه العلوم إلى نشأة «فروع» للبحث، وأحدثها وأوسعها انتشارًا الآن هو ما يُعرف بعلم اللغة الاجتماعي **Sociolinguistics**.

والحق أن اتصال البحث اللغوي بعلوم المجتمع يرجع إلى القرن التاسع عشر وقد ظهرت مُصطلحات كثيرة تُشير إلى تطور هذا الاتصال، وقد تفيدنا في الكشف عن منهج علم اللغة الاجتماعي في صورته الحالية:

١ - منذ مُنتصف القرن الماضي عرفت ثلاثة مُصطلحات هي:

الفيلولوجيا الإثنوجرافية **Ethnographic Philology**

الإثنولوجيا الفيلولوجية **Philological Ethnology**

الأنثربولوجيا اللغوية **Linguistic Anthropplogy**

٢ - ثم ظهرت مُصطلحات أُخرى أوائل هذا القرن وحتى الحرب العالمية الثانية، وهي مُصطلحات نلحظ فيها استخدام «العطف» أو «الإضافة» أو «الصفة»، وهي:

علم اللغة والإثنولوجيا **Linguistcs and Ethnology**

سوسيولوجية اللغة **Sociology of Language**

علم اللغة السوسيولوجي **Sociological Linguistics**

٣- وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت ثلاثة مُصطلحات أُخرى هي:

علم اللغة الإثنولوجي **Ethnolinguistics**

علم اللغة النفسي **Psycholinguistics**

علم اللغة الاجتماعي **Sociolinguistics**

وهذا التطور يُشير على أن استقرار المُصطلحات على هذا النحو في السنوات الأخيرة يدل على أن «الدرس اللغوي» هو الأساس في هذه العلوم، فنحن ندرس الآن علم اللغة الاجتماعي، وليس علم الاجتماع اللغوي، وعلم اللغة النفسي وليس علم النفس اللغوي، وهكذا.

والحق أن هذه الفروع الثلاثة من البحث قد ظهرت مُتدرجة بعد دعوة مالينوفسكي سنة ١٩٢٠ إلى ضرورة البحث عن نظرية تجمع اللغة والإثنوجرافيا، فظهر أولًا علم اللغة الإثنولوجي أواخر الأربعينات، ثم علم اللغة النفسي أوائل الخمسينات، ثم علم اللغة الاجتماعي أوائل الستينات[1].

والاهتمام بهذا العلم في السنوات الأخيرة لا يرجع إلى أسباب علمية أكاديمية فحسب، وإنما يستند إلى أسباب «عملية» أهمها:

١ - المشكلات اللغوية في البلاد النامية.

٢ - مشكلات التعليم والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المُتقدمة.

على أن علم اللغة الاجتماعي ليس قسيمًا لعلم اللغة وعلم الاجتماع، وليس «مزيجًا» منهما، وليس «تخصصًا» في ذاته، وليس من التقاليد العلمية حتى الآن أن يوصف باحث ما بأنه «عالِم لغة اجتماعي»، وإنما يوصف «البحث» نفسه بأنه في «علم اللغة الاجتماعي».

---

(١) Hymes (Dell): Sociolinguistics and the Ethnography of Speakiug – pp. 44 – 93 in: Ardener (Edwin): Social Anthropolg and Language, Tavistock publications; London. 1941.

وإذا لم يكن علم اللغة الاجتماعي تخصصًا مُفردًا بين علوم المجتمع وعلم اللغة، ولا مزيجًا منها، فقد يكون من الأفضل أن نُشير إلى الأُسس التي ينبني عليها استخدام هذه العلوم في تحديد أصوله ومناهج البحث فيه.

– لا شك أن اللغة تنفذ إلى كل جوانب الحياة، أي إن اللغة لا توجد «من أجل ذاتها» وهي لا توجد أصالة من أجل «الاتصال الفكري»، ولكنها نشاط اجتماعي يخدم ما يُسميه سابير بالتشارك الاجتماعي **(commnnion)**، وهي التي تفصح عن العلاقات الشخصية والقيم الثقافية والاجتماعية، بل لعلها هي الوسيلة الوحيدة للإفصاح عن هذه القيم وتلك العلاقات.

– إن دراسة اللهجات الاجتماعية مثلًا تقتضي فهم البناء الاجتماعي كما يُقدمه علماء المُجتمع.

– إن ما يعرف بالاختيار الأسلوبي، في لغة واحدة، أو من لغتين، يتضمن أُسسًا اجتماعية. فالاختيار من الفُصحى، أو العامية، أو من لغة أخرى، إنما هو في أساسه «سلوك اجتماعي»، يعكس شيئًا آخر في «الموقف»، وينبغي أن يُلاحظ في «ذاته» وفي «إطاره» هو.

– إن لغة «الشخص» تُحددها عوامل كثيرة، منها الموقف الاقتصادي، والمستوى التعليمي، ومنها «التقييم» الذاتي، والرغبة الخاصة، والحالة الصحية وغير ذلك، وكلها عوامل لا يصح إغفالها في البحث.

– من المؤكد أن «اللغة» هي «السلوك الاجتماعي الكامل» الآن، ولا مناص من فهم اللغة من «المجتمع»، ومن فهم المجتمع من اللغة.

وهذه الأُسس كافية في تحديد موضوع علم اللغة الاجتماعي ومجالاته، ووسائل الانتفاع بعلوم المجتمع في مناهجه، أما موضوعه فهو دراسة «الواقع» اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معانٍ اجتماعية وثقافية، مألوفة أو

غير مألوفة، وذلك من خلال النهر المُتدفق للتبادل الاجتماعي اليومي[١].

وعلم اللغة الاجتماعي يُطبق منهج علم اللغة الوصفي، بالإضافة إلى منهج وصف الظواهر الاجتماعية، لكنَّ هناك حدودًا واضحة بين علم اللغة وعلم اللغة الاجتماعي:

فنحن هنا لا نُركز على «الجُمل»، وإنما نُركز على «تتابع» الجُمل في حديث، والذي يُقدمه علم اللغة هنا هو اكتشاف «الترابط اللغوي» في النصوص، أما ما تُضيفه الأنثربولوجيا الاجتماعية مثلًا فهو اكتشاف «بناء» التبادل الكلامي بطريقة مباشرة، والإصرار على فهم «تركيبات» الكلام كما تظهر في «الموقف» أي بتحديد ظروفه الشخصية والثقافية.

– نحن إذن لا نهتم في علم اللغة الاجتماعي بالكلمة كما كان الحال عند دي سوسير، ولا بالجملة كما هو الأمر عند تشومسكي، وإنما بالحدث الكلامي:

act of speech.

– ودراسة «الحدث الكلامي» تغير مفهوم اللغويين بأن وظيفة اللغة هي «الدلالة»، وتفضي في علم اللغة الاجتماعي إلى نظرية أُخرى تُقرر أن وظيفة اللغة هي «المخاطبة» أو «الاتصال» كما نُفصل بعد.

ودراسة أنماط «الخطاب» تقتضي معرفة «بالدلالة» **semantics** في العلاقات الاجتماعية، كما تقتضي معرفة «بالدلالة» في الأشكال القولية.

ومن مجالات الحدث الكلامي ما يُعرف الآن بالتحول الكلامي **switching codes**، وهو موضوع له أهميته في علم اللغة الاجتماعي، إذ لا يوجد مُجتمع يتكلم لغة واحدة أو لهجة واحدة. والإنسان لا يتحول من لهجةٍ إلى أخرى أو من لغةٍ إلى

---

(١) راجع في هذا:

Pride (J.B.): Sociolinguistics, pp. 287. 301 in: Lyons (John): New Horisons in Linguistics, Penguin Books, 1970.

أُخرى إلا لأسباب وعوامل اجتماعية. وإذا كان اللغويون «يعزلون» بعض الظواهر اللغوية لدراستها في حد ذاتها، فإن علم اللغة الاجتماعي يُصر على دراسة الظواهر في إطار «كل» ما في المجتمع. وقد أُجريت دراسات على مناطق بها ثلاث لغات – انتهت إلى اكتشاف العوامل التي تؤثر على تحول الشخص من لغة إلى أُخرى كالموقف والموضوع والمُشاركين في الحديث والجنس وغيرها.

والذي لا شك فيه أن طبيعة علم اللغة الاجتماعي تفرض عليه أن يتبع – في الأغلب الأعم – طرائق البحث الحقلي، وإن يكن هناك خلاف في الاعتماد على وسائل الاستبيان، ومهما يكن هذا الخلاف، فإن أهم ما يقصد إليه علم اللغة الاجتماعي هو أن يصل إلى العوامل الاجتماعية «الكلية» **universal** التي لها تأثير على «اختيار» الناس للغة، ومن ثم يصل إلى تطوير «نظرية» تصلح لدراسة أنواع الأحداث الكلامية.

الأنثربولوجيون ودراسة اللغة

شهد القرن التاسع عشر تطورًا كبيرًا في الدرس اللغوي حين توجه العلماء إلى بحث اللغة على أساس المنهج التاريخي والمنهج المُقارن بعد اكتشاف السنسكريتية فيما يُعرف الآن في تاريخ الدرس اللغوي بالفيلولوجيا والتي تُرجمت إلى العربية «بفقه اللغة» والمعروف أن علماء اللغة قد تأثروا آنذاك بما كان سائدًا في العصر وبخاصة من آراء دارون في التطور، ومن ثم كان تقسيم اللغات تقسيمًا «سُلاليًّا» إلى «عائلات لغوية»، وكانت جهودهم في محاولة إعادة صياغة «اللغات الأولى».

على أن أهم ما يُميز هذا المنهج أنه لم يكن يدرس اللغة «في ذاتها» و«من أجل ذاتها»، بل كان يدرسها وسيلة لفهم «الثقافة» بوجه عام. ومع أن «علم اللغة» قد رفض هذا الاتجاه أوائل هذا القرن فإن ربط اللغة بالثقافة كان ولا يزال أساسًا مُهمًّا في دراسة اللغة من حيث هي دراسة للإنسان.

ولقد وجد علماء الأنثربولوجيا في القرن التاسع عشر في منهج اللغويين اقترابًا كبيرًا من منهجهم في الدرس، بل اختلط البحث الأنثربولوجي والبحث اللغوي في كثير من الأحيان، واشتهر علماء بالجمع بين العلمين، منهم ماكس مولر **Max Muller** الذي قدم دراسات في اللغة ودراسات في الأنثربولوجيا. وقد كان مكان «الثقافة» في العلمين أساس هذه الصفة: «فالثقافة» كانت غاية عند علماء اللغة، وهي عند الأنثربولوجيين «الثقافيين» حقيقة نهائية مُتميزة بذاتها، وليس «المُجتمع» إلا وسيلة لوجودها واستمرارها[1].

ليس غريبًا إذن أن يهتم الأنثربولوجيون باللغة، وأن يتصلوا بمناهجها، وأن يُسهموا في دراستها. والذي يَعنينا هنا هو أن نعرض لما قدمه الأنثربولوجيون للدرس اللغوي. وقد كان ذلك في مجالات مُحددة نُدرجها على النحو التالي:

١ – اللغة والجنس.

٢ – اللغات البدائية.

٣ – أصل اللغة.

٤ – اللغة والأسطورة.

٥ – نظرية «سياق الحال».

* * *

١ – اللغة والجنس:

وقد كانت قضية «اللغة والجنس» من القضايا التي شغلت اللغويين والأنثربولوجيين في القرن الماضي. وكان اللغويون يذهبون إلى أن معرفة المراحل التي تطورت فيها اللغة تُفسر لنا تاريخ الأزمنة القديمة. وقد قبل عدد من

(١) انظر تفصيل هذا فيما كتبه الدكتور أحمد أبو زيد تحت عنوان: «البناء الاجتماعي والثقافي» في كتابه: البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص: ١٧٨ – ٢٤٦.

الأنثربولوجيين هذه الدعوى، وذهب إلى أن اللغة تُفسر الجنس الذي تحدث بها. وقد حاول جون كينيدي **John Kennedy** في عدد من أبحاثه أن يُبرهن على أن الهنود الأمريكيين قد هاجروا إلى أمريكا من قارات أخرى، وذلك بمقارنة عدد من الظواهر اللغوية عند بعض قبائلهم بلغات لا تزال موجودة في غرب إفريقيا.

وتقدم كلارك **Hyde Clarke** خطوة أخرى حين صنف اللغات حسب خصائص مُعينة تصلها بالجنس.

على أن هذا الاتجاه لم يجد قبولًا لدى كثير من الأنثربولوجيين، فعارضه عدد كبير منهم، وقد أشار تايلر **Tylor** إلى أن وصل اللغة بالجنس إنما هو وصل زائف؛ ذلك أن هناك أجناسًا مُختلفة تتحدث لغة واحدة، وهناك أجناس تُغير لغاتها، وقال سايس **Sayce** إن المجتمع هو الذي يُنظم اللغة وليس الجنس، وأشار الأستاذ وتني **Whitney** إلى أن اللغة تُكتسب، ولا تصنع، وهي مؤسسة، وجزء من ثقافة الشعب الذي تنتمي إليه، وهي خاضعة للتغيير كأي مظهر آخر من مظاهر الثقافة.

والحق أن وصل اللغة بالجنس لم يكن يجد ما يسنده من أدلة التاريخ ولا من أدلة البحث الحقلي. لكن ذلك لم يمنع أن يذهب عدد من الأنثربولوجيين إلى أن هناك صلة غير مؤكدة بين الخصائص المميزة للغة معينة، «وعقلية» الجنس الذي اصطنعها، وقد دافع الأستاذ جوستاف أوبرت **Gustav Oppert** عن هذا الاتجاه بقوله: «إن اللغة تحتفظ ببنيتها الخاصة، وهي – إن لم تتوافق دائمًا مع أمة خاصة – فإنها تدل على الجنس الذي تحدث بها أولًا، وهي تحتفظ بالنمط الذي كان عليه تفكير أولئك الذين انبثقت بينهم اللغة باعتبارها وسيلة طبيعية للاتصال، رغم أن الجنس قد يكون اختفى اختفاءً تامًا»(١).

وإذا كان مولر قد ذهب أول الأمر إلى أن اللغة الآرية يمكن أن تفيد في اكتشاف

---

(١) Henson (Hilary): Early British Anthropologists and Languages. Pp. 3-32 in: Ardener, Social Anthropology and Language.

الجنس الآري، فإنه عاد ليؤكد على ضرورة التفريق بين اللغة والخصائص الجنسية، ونحن حين نتحدث عن عائلات آرية أو سامية، فإن الأساس في التصنيف هنا أساس لغوي، بمعنى أن هناك لغات آرية وأُخرى سامية، ولكن ليس من المنطقي أن نتحدث عن جنس آري ودم آري وجماجم آرية. وينبغي أن نتوقف عن محاولة استخلاص نتائج عن طريق وصل اللغة بالدم، أو وصل الدم باللغة.

ومن المُلاحظ أنه لا تزال هناك أفكار غامضة عن اللغة مبنية في الأغلب على وجود خصائص تُميز اللغات وفقًا للجنس، ونحن نقرأ حتى الآن عمن يقول: إن الإنجليزية هي لغة التجارة، والألمانية لغة الحرب، والفرنسية لغة النساء، والإيطالية لغة الأصدقاء، والأسبانية لغة العبادة. ولا نزال نقرأ أيضًا أن الإيطالية لغة «موسيقية»، وأن الإنجليزية كما تُنطق في ويلز لغة «رتيبة»، وأن الألمانية حنجرية **guttural**، وأن الفرنسية «فياضة»(١).

والذي لا شك فيه أن مُناقشات الأنثربولوجيين في هذه القضية قد أفاد الدرس اللغوي، ذلك أن رفض الصلة بين اللغة والجنس ساعد على تغيير المنهج اللغوي الذي كان سائدًا في القرن الماضي، وهو المنهج الذي كان يجمع اللغات التي تنتمي إلى جنس معين ويدرسها في إطار التاريخ والمقارنة، ومن ثم كان اتجاه علم اللغة الحديث إلى «البيئة» وليس إلى «الجنس»، ولا نزال نذكر تأثير الأبحاث الحقلية الأنثربولوجية على علم اللغة في أمريكا على وجه الخصوص.

* * *

٢– اللغات البدائية Primitive Langueges:

كان الأنثربولوجيون الأوائل يعتقدون أن هناك «لغات بدائية»، لأن اللغة عندهم

---

(١) Wardhaugh, Ronald, Introduction to Linguistics, Mc Grewhill, Inc, New York 1972 p 2.

ترتبط بالقدرة العقلية للجنس، وما دام هناك «بدائيون» فلا بد أن تكون لغاتهم بدائية وغير متطورة. والمقياس الذي كانوا يحكمون به على هذه اللغات هو مقياس اللغات الأوروبية، وقد حاول عدد منهم أن يستنبط الخصائص التي تميز اللغات البدائية، ورأوا أنها تتمثل فيما يأتي:

١ - أن اللغات البدائية غير قادرة على التعميم والتجريد، يقول بايني **Payne**: «إن البدائيين لديهم كلمات كثيرة تعبر عن شيء واحد، فهناك مثلًا لفظة تُعبر عن (قطع) ثمرة المانجو، وأخرى عن (قطع) ثمرة الموز، وثالثة عن (قطع) غصن شجرة، وهكذا قد تجد خمسين كلمة، تعبر كل منها عن (قطع) شيء بعينه، ولكن ليس لديهم كلمة واحدة تعبر عن (القطع) نفسه بعامة. وقد تجد عند البدائيين كلمات كثيرة عن الطيور، والأسماك، والأشجار، على اختلاف أنواعها ولكنك قد لا تجد كلمة عامة تطلق على (طائر) أو (سمك) أو (شجرة) ... وهكذا»[١].

٢ - أن اللغات البدائية عاجزة عن التعبير تعبيرًا دقيقًا مُحددًا، وذلك لأن مُفرداتها محدودة جدًّا، وهذه خصيصة تناقض الخصيصة السابقة؛ فعلى حين رأينا كلمات كثيرة تطلق كل منها على شيء بذاته دون أن تكون هناك كلمة واحدة تدل على هذا الشيء «مُجردًا»، هنا نقصًا كبيرًا في المُفردات، بحيث تُطلق اللفظة الواحدة على أشياء كثيرة قد لا يكون بينها رابط ما، ويتحدد المقصود بعوامل خارجية.

٣ - أن اللغات البدائية مُعرضة دائمًا للتغيير السريع، وقد قدم عدد من الدارسين أمثلة للغات بعض القبائل تغيرت على أزمان قصيرة، ومن الواضح أن ما يُعرف باللغات المُتقدمة لا تخضع لمثل هذه الدرجة من التغير لما يستقر فيها من أعراف لغوية وأنماط أدبية مكتوبة.

إن فكرة «اللغات البدائية» انبنت عند الأنثربولوجيين إذن على أساس صلتها بالقدرة العقلية للمتكلمين، وإذا كانت هذه الفكرة ظلت سائدة فترة غير قصيرة، فإن

(١) Ardener, p. 7.

الدرس اللغوي الحديث رفضها، ولم ير ما يثبت وجود فروق تركيبية بين لغات «البدائيين» ولغات الشعوب المُتقدمة، فاللغة في نهاية الأمر «نظام»، وقد ثبت أن كل لغة من هذه «اللغات البدائية» لها نظامها الصوتي ونظامها الدلالي، وأنها قادرة على التوصيل داخل المجتمع، وأنها تستطيع أن تستوعب كل ما يريد أن ينقله أصحابها، وكل ما يجد عليهم من ألوان الحياة.

* * *

٣- اللغات البدائية وأصل اللغة:

وفكرة اللغات البدائية دفعت الأنثربولوجيين إلى دراستها باعتبارها دليلًا على ما حدث من تطور في اللغة الإنسانية، وقد اتفقنا على «أصل اللغة».

والبحث في «أصل اللغة» كان بحثًا قديمًا، وإن كان علم اللغة الحديث قد توقف عنه لأسباب علمية معروفة. لكن الاحتكام إلى اللغات البدائية أفاد في تأكيد عدد من القضايا اللغوية المهمة.

وقد أعجب الأنثروبولوجيون إعجابًا شديدًا بما قدمه لغويو القرن التاسع عشر من مُقارنات في اللغات الهندية الأوروبية في محاولة لإعادة صياغة اللغة الأم، وقد أُعجبوا خاصة بما انتهت إليه أبحاث بعض هؤلاء اللغويين من أن الهندية الأوروبية الأولى كانت تتكون أصالة من كلمات ذات مقطع واحد **monosyllabic** وقد جعلت هذه النتيجة بعض الأنثربولوجيين يتمسك بأن اللغة نشأت من تقليد أصوات الحيوانات غير المُتمايزة، وكان هذا الرأي مُناسبًا جدًّا لآراء دارون في التطور، بل إن مولر نفسه ذهب إلى أن هذا الاتجاه لا يفسر الفرق بين الأسود والأبيض، وبين الحار والبارد، وبين النغمة المُرتفعة والنغمة المُنخفضة في الموسيقى[١].

(١) انظر تفصيل هذا في كتابنا فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢، ص: ٩ - ٢٩.

على أن عددًا آخر من الأنثربولوجيين لم يقبل فكرة أُحادية المقطع، لأن اللغات البدائية التي كانت موضع دراستهم لم تكن تنتمي إلى الهندية الأوروبية من جهة، ولم تكن تتميز بهذه الظاهرة من جهة أخرى. وقد ذكر بايني **Payne** أن الشكل اللغوي للغات البدائية يتميز بشيء آخر؛ هو ما يُعرف بالعبارة الكلية **holophrase** أو الكلمة الشاملة **portmanteau word**، وهي «نطوق» لايمكن تحليلها، إنها أشياء عامة، وتقدم انطباعات مُختلفة، وهي لا شك أكثر تحديدًا من الصيحة الحيوانية. وهذا الشكل من اللغة له نظمه الخاص، ولكنه ليس نظمًا من كلمات أو أدوات، وإنما هو مُكون من تصورات.

وفكرة العبارة الكلية أدت إلى الاهتمام بظاهرة أخرى عند البدائيين، وهي ظاهرة استخدام الإشارة في التعبير اللغوي، وقد شغل تايلر نفسه بهذا الموضوع في محاولته بحث أصل اللغة، واكتشف ما ذهب إليه دي سوسير بعد ذلك من أن اللغة نظام من العلامات وأنها ينبغي أن تُدرس في إطار السيميولوجيا. لقد أجرى تايلر أبحاثًا عن «الإشارات» التي يصطنعها الصم والبُكم في معهد برلين، ثم قارنها بتلك التي يستحدثها الصم والبكم في إنجلترا، ووجد تشابهًا كبيرًا بينها. ثم قارن هذه الإشارات بتلك التي يستخدمها الهنود الأمريكيون فوجد تشابهًا كبيرًا أيضًا، وقد أفضى به ذلك إلى أن يُقرر أن هناك «قدرة» خاصة لدى الإنسان على خلق «العلامة»، وأن هذه القدرة هي التي أدت إلى اللغة المنطوقة.

وفي هذا الوقت كانت ثمة أبحاث تؤكد أن اللغات البدائية أكثر اعتمادًا على الإشارة، ولكنها لم تكن أبحاثًا مُقنعة إقناعًا كاملًا؛ فقد قدمت مدام بفيفر **pfeiffer** تقريرًا عن قبائل البوريس في البرازيل **Puris** أكدت فيه أن «الإشارة» تُشكل عندهم عنصرًا أساسيًا في التوصيل اللغوي، فليس في لغتهم مثلًا كلمة تدل على (الأمس) وأُخرى تدل على (الغد) ومن ثم يستعملون – كلمة (اليوم) ويُشيرون إلى الوراء دلالةً على الأمس، وإلى الأمام دلالة على الغد.

وهذه الأبحاث جعلت تايلر يظن أنه على وشك اكتشاف الأصل الذي صدرت عنه اللغة وذلك باهتمامه بالإشارة أو بنظام العلامات على العموم، وأهم ما توصل إليه هو إدراكه أن الإشارة واللغة تعتمدان على قدرة الإنسان على الرمز والتجريد، وهذه كلها أدت إلى آفاق جديدة في الدرس اللغوي.

* * *

٤- اللغة والأسطورة:

والبحث في أصل اللغة أدى إلى قضية أخرى، وهي صلة اللغة بالأسطورة، والقضية في أساسها تقوم على أن اللغة ليست إلا «صورة خارجية للفكر». ويقول مولر: «رغم أننا نؤمن أن الفكر لا يمكن أن يوجد بدون اللغة، وأن اللغة لا يمكن أن توجد بدون الفكر، فإننا نُميز الفكر من اللغة، أي تميز الشيء الداخلي من الكلام الخارجي، أي تميز المادة من الصورة، ونحن نعترف أن اللغة تؤثر أيضًا على الفكر، وأن هذا التأثير يُفيد في تفسير اللغة القديمة والأساطير»(١).

ويرى مولر أن اللغة لم تكن تستطيع أن تمثل الفكر دون أن تُحرفه تحريفًا ما، وهو يُسمى المراحل المُبكرة من الكلام الإنساني بأنها المرحلة الأسطورية **mythopoeic period**؛ حين كانت الأشياء تُسمى بصفاتها، وقد أخذ ذلك من دراساته في السنسكريتية، فالشمس كانت تُسمى (الساطع) **Shiner**، والقمر كان يُسمى (القياس) **Measurer** والنهر يُسمى (الجاري) **runner** أو (الحراث) **plougher**. ومعنى ذلك أن اللغة في هذه الفترة كانت قائمة على (التشخيص)، وحين انتهت هذه المرحلة فقدت اللغة كما يقول (وعيها الاشتقاقي)، وبدأت المعاني القديمة تخضع لسوء التفسير. ويُلاحظ مولر أن اللغة في المراحل التالية كانت تُمثل «صعوبات» أمام التفكير الخالص، وأن الناس حاولوا تفسير هذه الصعوبات

(١) Ardener, p. 13.

بتحويلها إلى أساطير، ومن أشهر الدلالة على ذلك أن الناس وجدوا اللغة تُسمى ظواهر الطبيعة بأسماء إما مُذكرة وإما مؤنثة، ولم يفهم الناس أسباب هذه التسمية فبدأوا يحولونها إلى كائنات حية ويخلقون حولها الأساطير.

وعلاقة اللغة بالأسطورة جعلته يؤكد أن اللغة لا يمكن أن تكون وسيلة كاملة لنقل الفكر، لأنها لا تستطيع أن تتخلص من خصيصتها الشعرية، ومن طبيعتها في خلق الأسطورة، ويقول: «إن الأسطورة لن تختفي إلا إذا تطابقت اللغة مع الفكر، وذلك ما لن يحدث أبدًا».

والمهم في ذلك كله أن مولر يرى أن تفسير الأساطير يجب أن يعتمد على دراسة اللغة.

* * *

٥- نظرية سياق الحال Context of Situation:

وهي نظرية تستحق شيئًا من الحديث المُفصل لأنها تمثل الآن ركنًا من أركان الدرس اللغوي.

والمعروف أن هذه النظرية تنسب إلى مدرسة لندن اللغوية وبخاصة إلى الأستاذ فيرث، وهي تُمثل أساس نظريته في المعنى، وجزءًا مُهمًّا من النظرية اللغوية في بريطانيا. ولئن كانت قد فقدت بعض أهميتها بعد وفاته ١٩٦٠ حين طغى التحليل الفوثولوجي والنحوي مُركزًا على الجوانب «الشكلية» في اللغة، فإن دراسة «المعنى» عادت إلى صُلب البحث اللغوي عند تشومسكي وأصحابه[١].

والحق أن «سياق الحال» ليست من ابتكار الأستاذ فيرث، وإنما ترجع بعض ملامحها إلى لغويي القرن التاسع عشر، وقد عرض فيجنر **Wegener** (١٨٨٥) لما أسماه «نظرية الموقف» **die Situationstheorie**. لكن معالمها الرئيسية ترجع إلى

(١) Firt, J.R., Selected papers, edited by Palmer, Longmans 1968 p. 139.

العالم الأنثربولوجي برونسلاو مالينوفسكي. وهو نفسه يعد نقطة تحول في البحث الأنثربولوجي حين جعل اهتمامه منصبًا على الوصفية **descriptivism** والوظيفية **funcionalism** أو دراسة البنية على العموم **structuralism**، بعد أن كان درس الثقافات مقصورًا في الأغلب على التناول التاريخي. وهذا الاتجاه دفعه إلى دراسة الثقافة عن طريق الحياة بين أصحابها، وقد قضى أربع سنوات في جُزر التروبرياند وحدها **Trobriand** من ١٩١٤ إلى ١٩١٨. وقد بدأ مالينوفسكي التدريس بجامعة لندن ١٩٢٤، وتلمذ له مُعظم الأنثروبولوجيين الاجتماعيين، ويؤكد بريتشارد أن «الدراسات الحقلية الشاملة التي تُميز الأنثربولوجيا الاجتماعية الحديثة تدين بطريق مباشر أو غير مُباشر إلى تعليمه»[١].

وقد توصل إلى فكرة «سياق الحال» من خلال أبحاثه الحقلية هذه، ثم قدم شرحًا وافيًا لها في بحثه عن «مشكلة المعنى في اللغات البدائية» الذي ألحقه بكتاب أوجدن وريتشاردز عن «معنى المعنى»، ونحن نوجز هنا ما قدمه في هذا البحث[٢]. حين كان يجري أبحاثه بين بعض القبائل الميلانيزية **Melanesian Tribes of Eastern New Guninea** جمع عددًا كبيرًا من النصوص تشمل صيغًا سحرية، وفنونًا شعبية، وأقاصيص وغير ذلك من ألوان الكلام، ثم حاول أن يُترجم هذه النصوص إلى الإنجليزية وأن يكتب – إلى ذلك – نحوًا لهذه اللغة ومُعجمًا لها، فواجهته صعوبات جوهرية وبخاصة أنه حاول الإطلاع على قوانين بعض هذه اللغات التي كتبها المُبشرون لأغراضهم العملية، والتي كانت تقوم على تقديم

(١) إيفانز بريتشارد، الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة الدكتور أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: ٩٨ – ١٠٠.

(٢) Malinowski, The Problem of Meaning in Primitive Languages. Supplement I in Ogden and Richards, The Meaning of Meanig, Routledge & Kegan Paul Ltd, London, tenth edition, 1949, pp. 296 - 336.

النصوص اللغوية في أقرب صورة لها في الإنجليزية، وقد رأى هو أن هذه الترجمة العملية لا تصلح لشيء، لأن الترجمة ليست تقديم الكلمة المُقابلة، ولكن بأن تقرر أتوجد فكرة – وإن تكن جزئية على الأقل – عند المُتكلمين الإنجليز تُقابل الكلمة الوطنية؟ ومن المُلاحظ أن الكلمات التي تُشير إلى النظام الاجتماعي الوطني، وكل التعبيرات التي تعبر عن مُعتقدات هذه القبائل، وعن عاداتها، واحتفالاتها، وألوان السحر لديها، كل أولئك ليس موجودًا في الإنجليزية ولا في أية لغة أوروبية أخرى. وترجمة هذه الكلمات والتعبيرات لا يقتضي تقديم نظائرها المُتخيلة لأن نظائرها الحقيقية غير موجودة – وإنما تقتضي شرح معانيها عن طريق وصف دقيق للثقافة والتقاليد لمجتمعات هذه القبائل.

على أن هناك صعوبة أخرى مهمة، هي أن الطريقة التي تستعمل بها اللغة تختلف عن طريقتنا، ذلك أن التركيب النحوي في اللغات البدائية يفتقر إلى الدقة والتحديد، والجمل تتميز بقدر كبير من البساطة، لكن هذه البساطة تخفي قدرًا كبيرًا من التعبير لا يمكن الوصول إليه إلا بالموقف أو السياق. ويقول مالينوفسكي: إنك إن ذهبت إلى هذه القبائل، ومعك شارح ممتاز يشرح لك كل كلمة تسمعها فإنك لن تفهم ما يدور أمامك من حديث.

وقد قدم أمثلة من لغات بعض هذه القبائل والتعبيرات التي تقابلها في الإنجليزية، وانتهى إلى أن الذي يسمع هذه التعبيرات يحتاج أن يعرف «الموقف» الذي تُقال فيه، وأن يعرف كيف توضع موضعها من ثقافة المجتمع. والترجمة اللغوية المحضة لا تؤدي إلى شيء، وينبغي أن نعرف أن التحليل اللغوي لا بد أن يفرض علينا أن ندرس كل الموضوعات التي تقدمها الدراسة الإثنوغرافية الحقلية.

وهذه الأمثلة التي قدمها تُثبت أن اللغة «تمتد بجذورها إلى حقيقة الثقافة، وإلى الحياة القبلية، وعادات الناس، وأنها لا يمكن أن تشرح دون إشارة مستمرة إلى هذه السياقات الواسعة للنطوق الكلامية».

ويُقارن مالينوفسكي – في وقته – بين دراسة «اللغات المتقدمة»، و«اللغات البدائية»، فيبين أن دراسة اللغات المُتقدمة وكذلك اللغات الميتة – تتم في الأغلب من خلال النصوص المكتوبة، على حين يستحيل ذلك في اللغات البدائية، ومن ثم يختلف عمل عالم الفيلولوجيا عن عالم الإثنوغرافيا، لأن الأول يدرس اللغة في صورتها المكتوبة، ويدرسها الثاني في صورتها المنطوقة وعلى حالتها من «التدفق». ويهتم الفيلولوجي بإعادة صياغة الموقف العام، أما الإثنوغرافي فيدرس ظروف الثقافة ومواقفها درسًا مُباشرًا، ويُفسر الأشياء على ضوئها. ويؤكد مالينوفسكي أن هذا المنهج هو أصح سبيل إلى الدرس اللغوي وإلى بحث حياة اللغات.

وقد انتهى مالينوفسكي من عرضه إلى النتائج التالية:

١ – إن التعريف الذي كان سائدًا للغة، على أنها التوصيل الصوتي للأفكار، لم يعد تعريفًا ذا قيمة، لأنه لا يصلح إلا لجانب معين من اللغة، وهي اللغة المُستعملة في قاعات الدرس أو في مناظرات المثقفين.

٢ – إن اللغة ليست علاقة مقابلة للفكر. وإنما هي «نمط من النشاط»، يتميز بما يتميز به أي نشاط اجتماعي تعاوني آخر.

٣ – إن النطوق اللغوية لا تنطق، ولا تفهم، في حد ذاتها، ولكنها تفهم في «سياق الحال» يضم كل ما هو شخصي، وثقافي، وتاريخي. بل يفرض معرفة الوضع الفيزيقي الذي تم فيه الكلام بين مُتكلمين وسامعين.

٤ – إن استعمال الأشكال اللغوية والكلمات، والجمل، تفهم من السياق، وينبغي أن يشرحها اللغوي في هذا الإطار. إن علاقة المعنى لا ينبغي أن تفهم على أنها علاقة ثنائية بين اللفظ وما يُشير إليه، بل على أنها مجموعة من العلاقات المتعددة الأبعاد، وهي أساس علاقات وظيفية بين اللفظة في الجملة وسياقات حدوثها.

٥ – ويترتب على ذلك أن الألفاظ ليست اختلافات عالمية؛ لكل لفظة ما يقابلها في لغة أخرى، ولكن المهم هو أن نُدرك أن «اللفظة» تعتمد على «ثقافة» المجتمع،

والترجمة ممكنة فقط عند فهم السياق الثقافي. ولعل الترجمة بين اللغات الأوروبية كانت سهلة لاشتراك هذه اللغات في الميراث الثقافي، وكلما اختلفت الثقافات وتباعدت صعب الترجمة.

٦ - إن «اللفظة» ليست هي الوحدة الأولى للمعنى، ولكنها الجملة، فالجمل هي التي تنطق وتفهم، والألفاظ ليست إلا مُستخرجات من المعاني، ومن الوظائف السياقية، ومن الجمل، وكل ما تحاوله المعاجم هو أن تلخص هذه المُستخرجات.

هذه هي الخطوط العامة لفكرة «سياق الحال» كما عرضها مالينوفسكي، وقد التقطها الأستاذ فيرث وأعجب بها إعجابًا شديدًا، وكتب بحثًا يؤكد فيه تأثره بآراء مالينوفسكي[١].

وقد أشار إلى أن أهم إضافة قدمها مالينوفسكي تذكر فيما يلي[٢]:

١ - تقديمه نظرية عامة، وبخاصة استعماله لتصورات «سياق الحال»، وأنماط الوظائف الكلامية.

٢ - تقريره أن معنى «اللفظة» يتحدد بالإشارة إلى السياق الثقافي.

٣ - بحثه قضية المعنى والترجمة.

٤ - بحثه صلة اللغة بالثقافة، وصلة علم اللغة بالأنثربولوجيا.

وأهم ما في منهج فيرث أنه كان مُقتنعًا بأن اللغة نشاط اجتماعي ذو معنى، ومن ثم عارض اتجاه المدرسة الأمريكية حينذاك في إخراجها قضية المعنى من التحليل اللغوي كما تُعرف عند بلومفيلد وأتباعه.

لقد كان فيرث يلح دائمًا على أن «السلوك اللغوي العادي إنما هو جهد ذو معنى، وهو يوجه إلى الاحتفاظ بالأنماط الصحيحة من الحياة».

(١) Firth (J.R.) Ethnographic Analysis of Language with Reference to Malinowski's Views. In: Selected Papers, pp. 137 - 161.

(٢) Ibid, p. 153.

«That normal linguistic behaviour as a Whole is Meaningful effort, dierected Towards the Maintenance of appropriate Patterns of life»[١].

والتأكيد على قضية المعنى عنده أفضى به إلى الإفادة من أفكار مالينوفسكي، وعلى أساسها أقام نظريته عن «سياق الحال» وجعلها التصور الأساسي في علم الدلالة **Semantics**، بل جعل مُصطلح الدلالة يعني الدراسة السياقية، فيقول:

«إن التصور الرئيسي في علم الدلالة كله هو سياق الحال، هذا السياق يشمل المشارك البشري أو المشاركين، ويشمل ما يقولونه، وما يجري هناك، ويستطيع عالم الأصوات أن يجد فيه سياقه الصوتي، ويستطيع النحوي والمعجمي أن يجدا فيه سياقاتهما، وإذا أردت أن تبرز الأصل الثقافي فإنك تجد فيه سياقات الخبرة لدى المُشاركين. ذلك أن كل إنسان يحمل ثقافته معه وجزءًا كبيرًا من حقيقته الاجتماعية حيثما يذهب. ولكن حتى حين ينتهي عالم الأصوات، وعالم النحو، وعالم المعاجم. يبقى التكامل الأكبر الذي يُفيد من عملهم جميعًا في الدراسة الدلالية، ولهذه الدراسة السياقية والتجريبية أحتفظ بمصطلح (علم الدلالة)»[٢].

وفي تقديمه لعلم الدلالة كما يراه عرض لبعض المبادئ التي يقوم عليها البحث اللغوي، وفحصها في تخطيط عام على النحو التالي:

١ - إن اللغة ميل طبيعي إلى استخدام قدراتنا الفيزيقية في صنع أصوات وإشارات، وعلامات، ورموز، ذات معنى.

٢ - وهذا الميل يحتفظ بنشاط مُنظم؛ وهو ما نصفه في أعمال النحو، والمعاجم، والنواحي الأخرى لعلم اللغة. وهناك ميدان واسع للبحث في الدراسة العامة للغة.

٣ - ونحن حين ندرس لغة مُعينة، فإننا نقصد أن نُشير إلى نظام لغوي معين،

(١) Firth, Papers in Lirguistics, Oxford University Press, London, 1957, p. 225.

(٢) Firth The Technique of Semantics, in «Papers in Linguistics» p. 27.

يجد حياته بأداء الأشخاص له.

٤ – إن الدراسة المقارنة للأنظمة اللغوية ميدان واسع أيضًا، وقد تطور تاريخيًّا في اللغات الهندية الأوروبية، لكن علم اللغة الوصفي قد بدأ. وهذا المنهج الوصفي الذي يتضمن الدراسة المباشرة للأشخاص في نشاطهم الحي، يحمل المستقبل العظيم لعلوم اللغة.

٥ – إن الكلام قد يكون شفويًّا وقد يكون كتابةً، وينبغي أن ننظر إليه باعتباره يحدث في «سياق الحال». والحدث الكلامي **Speech event** في «سياق الحال» إنما هو تجريد فني من النطوق، والحدث الكلامي يمكن أن يُقسم إلى أجزاء فرعية.

٦ – وهذه «الأحداث» الكلامية تعبيرات من نظام اللغة.

٧ – إن الكلام يتكون من أحداث كلامية لا حصر لها، وهي تقع في سياقاتها، وتنبع من عالم من الأصوات البشرية ومن الأوراق المكتوبة[١].

ويتقدم فيرث بعد ذلك فيُحدد العناصر التي ينبغي أن يعتمد عليها اللغوي في دراسة اللغة على أساس «سياق الحال»، ويرى أن هناك ثلاث علاقات داخلية تُشكل أساس البحث:

١ – العلاقات الداخلية لعناصر التركيب، والكلمات، وأجزاء النص الأخرى.

٢ – العلاقات الداخلية للأنظمة التي تجعل لهذه العناصر قيمًا مُعينة.

٣ – العلاقات الداخلية لسياقات الحال.

وهذه العلاقات الأخيرة هي التي ركز عليها في غير موضع من أبحاثه وهي[٢]:

١ – الملامح الخاصة بالمشاركين؛ أشخاص أو شخصيات.

---

(١) **Firth, The Semantics of Linguistics, in «Papers. P, 144».**

(٢) **Firth, Pesonality and Language in Society, in «Papers. P, 182».**

وانظر أيضًا بحثه:

Ethnographic Analysis and Language «Selected Papers. P, 155».

(أ) الحدث القولي للمُشاركين.

(ب) الحدث غير القولي لهم.

٢ – الأشياء ذات العلاقة بالموقف.

٣ – تأثير الحدث القولي.

وقد كان فيرث يهدف من نظريته إلى ثلاثة أغراض:

١ – معرفة الأساليب المختلفة للنطوق، وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها، وهي الأشكال النمطية، والأدبية، والعامية، وغيرها.

٢ – وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيئًا فريدًا.

٣ – معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية. وأنواع التنغيم، ثم معرفة معاني الألفاظ المُفردة باعتبارها أجزاء من الكلام[١].

لقد ظل فيرث يُركز على نظريته في علم الدلالة على أساس «سياق الحال»، لكنه لم يُطبق هذه النظرية تطبيقًا كاملًا بحيث تُصبح منهجًا مُحرر المعالم معروف الخطوات. على أن بعض زملائه وتلاميذه قام بشيءٍ من هذا التطبيق، وبخاصة الأستاذ ميتشل **T. F. Mitchell** في مثل بحثه عن «لغة البيع والشراء في سيرانايكا». وقد عاد الاهتمام بالدرس الدلالي عند من يُسمون بالفيرثيين الجدد «**Neo-Firthians**» في بريطانيا، وعند التحويليين في الولايات المتحدة.

ومهما يكن من أمر فإن «سياق الحال» كانت نظرية حاولت أن تقول شيئًا أبعد من معرفتنا بمعاني الكلمات، وكانت أساس العمل اللغوي لدى كثير من العلماء وقد عادت تلقى عناية أصحاب الاتجاهات الأخيرة. ولعلها هي التي دفعت اللغويين الآن أن يُدركوا حاجتهم إلى دراسة العلاقات المتداخلة في المعنى. وهناك من يرى

---

(١) **Robins. Malinowski, Firth, and The «Coutext of Situation in Ardner, Social Anthropology and Langusge, P. 144».**

أن النظرية لا تزال ذات قيمة لعلماء اللغة والإثنواغرافيا على السواء[١].

وقد لا يكون بعيدًا عما نحن فيه أن نشير إلى أن العرب القدماء كانت لهم إشارات إلى «الموقف» أو «المقام» أو غير ذلك مما قد يُشبه فكرة «سياق الحال» من هذه الإشارات ما أفرده المُفسرون لمعرفة «أسباب النزول»، يقول عنها الواحدي: «إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأول ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها. دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[٢].

ويقول السيوطي: «ولمعرفة أسباب النزول فوائد، منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب. ومنها أن اللفظ قد يكون عامًا ويقوم الدليل على تخصيصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ... ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال ...».

وقال ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن».

وقال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»[٣].

ومن إشارات اللغويين العرب إلى مثل هذه الفكرة ما عرض له ابن جني في غير موضع من كتبه، كتقريره أن اللغوي لا ينبغي أن يكتفي «بالسماع»؛ بل ينبغي أن يجمع إليه «الحضور والمشاهدة»، أي عليه أن يُحيط بظروف الكلام، يقول:

«ولهذا الموضع نفسه ما توقف أبو بكر عن كثير مما أسرع إليه أبو إسحاق من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتج أبو بكر عليه بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نُشاهدها، ولم ندر ما حديثها، ومثل له بقولهم

(١) Ibid, P, 44.

(٢) الواحدي: أسباب نزول القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد القاهرة ١٩٦٩ ص: ٤.

(٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن – القاهرة ١٩٣٥ (١٠/ ٢٨).

(رفع عقيرته) إذا رفع صوته. قال أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعد الأمر جدًّا، وإنما هو أن رجلًا قُطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته، أي رجله المعقورة. قال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لست أدفع هذا. ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا: أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر، يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل».

«فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسى، وابن عمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لاتؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها. حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقًا فيه، غير متهم الرأي والنحيزة والعقل»[١].

اللغة والاتصال

أصبحت دراسة «الاتصال **Communication**» تمثل عنصرًا أساسيًّا من عناصر البحث في العلوم الاجتماعية؛ ذلك أن الإنسان لا يمكن فهمه إلا بمعرفة الطرق التي يقوم عليها الاتصال لديه، وهي طُرق تختلف باختلاف النشاط وباختلاف البيئات والمجتمعات. ولما كانت العلوم الاجتماعية تتناول الاتصال من زوايا مُختلفة فإن مُصطلح الاتصال نفسه يستعمل بتصورات مُتعددة، وقد تكون مُختلفة اختلافًا كبيرًا؛ فهناك من يتناول الاتصال من حيث هو ثقافة، وهناك من يتناوله من حيث هو لغة، وآخر يدرسه من حيث التأثير الشخصي، ورابع يبحثه

(١) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب بالقاهرة ١٩٥٢، ١/ ٢٤٨.

باعتباره أساس العلاقات الإنسانية وهكذا.

والذي يهمنا هنا هو الاتصال من جانبه الثقافي ومن جانبه اللغوي. والذي لا شك فيه أن الاتصال هو الوسيلة الأولى التي تنتقل بها الثقافة من جيل إلى جيل، وأن أية ثقافة لا تفصح عن نفسها إلا بطرق الاتصال فيها، ومن ثم فإن دراسة الاتصال في المجتمع هي التي تقفنا على ثقافته. والذي لا شك فيه أيضًا أن اللغة هي أهم وسائل الاتصال عند الإنسان، ويؤكد بعض الأنثربولوجيين أن اللغة هي الثقافة وأن الثقافة هي اللغة، ومن ثم فإن الاتصال والثقافة يكادان يكونان لفظين مُترادفين، أو أن الصلة بينهما عضوية والذي يُميزهما أن الثقافة «بنية **Structure**» وأن الاتصال هو العمليات **Processes** التي تعيش بها هذه البنية.

ومن المؤكد أن اللغة لا تكشف عن قيم الحضارة فحسب، لكنها تدل أيضًا على أنماط العلاقة بين الناس. وإذا تأملنا الأسئلة الآتية: من يتحدث إلى من؟ وعن أي موضوع؟ وبأي أسلوب كان الحديث؟ فإن هذه الأسئلة تعني الإشارة إلى «تخصيص الأدوار»، وتعني «اختلاف الرتبة» بين الأفراد في المجتمع، وكل أولئك ملمح مهم من ملامح الثقافة.

ومن المؤكد أيضًا أن اللغة تحمل طابع الحياة التي يحياها المتكلمون، بها يظهر ذلك في اختلاف «المفردات» بين لغةٍ وأخرى. وكل لغة تحتوي في الأغلب على كلمات معينة يحب أصحابها أن يتحدثوا بها أو تشغل عندهم اهتمامًا خاصًا؛ فبعض قبائل الهنود في أمريكا مثلًا لديهم أكثر من مائتي كلمة عن البطاطس، ويرى الباحثون أن ذلك يُنبئ عن اعتماد اقتصادهم على هذا المحصول، وعن تطويرهم لفنون زراعتها والإفادة منها. ومن الملاحظ أيضًا أن الكلمات التي تدل على القرابة **kinship** تختلف بين لغة وأخرى، ففي العربية مثلًا كلمة للعم وأُخرى للخال إشارة على أخ الأب وأخ الأم، على حين تستعمل اللغات الأوروبية كلمة واحدة للدلالة

عليهما. وقبائل البوشمان في استراليا تستعمل كلمات مختلفة للدلالة[١] على ابن أخت الأم، وبنت أخ الأب، وزوجة شقيق زوجة الأب ... وهكذا.

والاتصال ليس وظيفة بيولوجية يؤديها الإنسان كما يؤدي وظائفه الحيوية الأخرى، ولكنه يكتسبه من المجتمع، ويتعلم طرائق الاتصال بالآخرين سواء بالوسائل اللغوية أم بغيرها. وكثيرًا ما نقول: «إن الطريقة التي كان يتحدث بها فلان جعلتني أشعر بكذا وكذا» وكلمة «الطريقة» هذه قد تعني «درجة الصوت» أو «شكل الكتف» أو «توترًا في بعض العضلات» أو غير ذلك من الأمور والنُطق اللغوي نفسه قد يؤدي معنى مُناقضًا لما تحمله ألفاظه حسب النغمة أو الإشارة المُصاحبة. ونحن نتحدث كثيرًا أيضًا عن «النظرة الساحرة» أو «الإيماءة الواعدة» أو «الإشارة المهددة» أو «الطريقة المثيرة» ونقرأ أحيانًا عن أحكام نُطلقها على بعض الشعوب، كأن يُقال إن اليابانيين يضحكون في «الوقت غير المناسب» أو أن الفرنسيين يتحدثون «بأيديهم»، أو أن الهنود الحُمر لهم «وجوه جامدة».

ونُلاحظ أيضًا أننا نصف شخصًا بأنه «رجل» ونصف آخر بأنه «بارد»، وثالثًا بأنه «أنثوي» أو «ناعم»، ورابعًا بأنه «مُتحرك» أو «كالنار» أو غير ذلك من النعوت. ومن الظواهر الواضحة في المجتمعات أن طرائق الاتصال تختلف بين الرجل والمرأة؛ فلا حرج على المرأة مثلًا أن تبكي أمام الناس، ولكن الرجل في الأغلب لا يستطيع. والمرأة لا تستطيع أن تُقهقه في المكتب أو في الشارع، والقهقهة في الأغلب مقصورة على الرجال، وقد تكون ممنوعة في بعض الأحيان. وفي بعض المجتمعات تمشي المرأة خلف الرجل، وفي بعضها الآخر تتقدمه أو تسير بجانبه.

إن هذه أنواع من السلوك الاتصالي بين الناس، ومن المؤكد كما أشرنا أنها تكتسب من المجتمع، ومن ثم فإنها تختلف بين ثقافة وأخرى. وقد بدأ البحث

(١) **Clevenger, Thodore and Mathews, Jack: The Speech Communication. Scott, Foresman and Company, Glenview, Illincis, 1971. pp. 1 – 17.**

اللغوي يهتم بكل هذه الأمور، لأن لها تأثيرًا بعيدًا في عملية التوصيل.

وإذا كانت اللغة المنطوقة هي أهم وسائل الاتصال فإننا ينبغي ألَّا نغفل عن الوسائل الأُخرى إذا كان لنا أن نصف الاتصال الإنساني وصفًا شاملًا. على أن أهم ما يلفت إليه الدرس اللغوي الحديث أننا لا نستطيع أن نفهم اللغة فهمًا صحيحًا من درس أصواتها وكلماتها وتراكيبها فحسب، ولكن بأن نعرف أيضًا طرائق الاتصال الإنساني الأخرى التي تعين اللغة أو تصاحبها في أداء وظيفتها في التوصيل، بل لا بأس من معرفة شيء عن الاتصال الحيواني كي نفهم الخصائص المميزة للغة الإنسانية.

ولسوف نعرض هنا لثلاثة جوانب من الاتصال:

١- اللغة الجانبية.

٢- اللغة والحركة الجسمية.

٣- الاتصال الحيواني واللغة.

* * *

١- اللغة الجانبية Paralanguage:

واللغة الجانبية مُصطلح يُطلقه اللغويون على الجوانب الصوتية التي تُصاحب الكلام. أي إنها ليست تلك الألفاظ التي ينطقها المُتكلم ولكنها حالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعًا أو انخفاضًا أو تنغيمًا أو غير ذلك. ودرس «الاتصال» يهتم بهذه الظاهرة لأن اللغة الملفوظة لا تؤدي معناها من حيث هي مكونة من ألفاظ وتراكيب يتعارف عليها الناس فحسب، ولكن المعنى يتحدد بوسائل أخرى بالإضافة إلى المعاني اللغوية، ومنها هذه اللغة الجانبية. وهي أقرب وسائل الاتصال إلى «اللغة» لأنها أيضًا تتصل بحالة الصوت الإنساني عند نطق لغوي مُعين.

وقد رصد اللغويون «موازين» للغة الجانبية رأوها تؤثر تأثيرًا مباشرًا على الاتصال اللغوي، وهذه «الموازين» يكتسبها المتكلم من المجتمع، فهي تؤدي

وظائف عرفية شأن اللغة العادية، وهي أيضًا قد تضيف إلى المعنى، وقد تؤدي عكس ما تؤديه الألفاظ المنطوقة نفسها، وأهم ما رصده اللغويون من هذه الموازين ما يلي:

١- ميزان جهارة الصوت Volume Scale:

ونعني به الميزان الذي تتحدد به درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه عند نطق معين، فكل موقف كلامي يكتسب في المجتمع درجة معينة من ارتفاع الصوت، والناس يلتزمون هذه الدرجة عند هذا الموقف، فإذا تغيرت الدرجة ارتفاعًا أو انخفاضًا عما ينبغي أن تكون عليه في موقف معين فإن السامع يُدرك أن شيئًا ما قد تغير، وقد يُفهم من ذلك معنى مغايرًا للمعنى اللغوي.

وبعض الناس يعرفون في بيئاتهم بأن أصواتهم مُرتفعة عادةً بدرجة مُعينة، وآخرون يُعرفون بانخفاض أصواتهم. وحين نسمع شخصًا يُغير درجة صوته عما هو معروف عنه فإننا قد نُدرك أن عاملًا جديدًا قد طرأ على الموقف الكلامي عنده.

وارتفاع الصوت أو انخفاضه قد يكون خصيصة ضرورية لبعض أنماط التوصيل، فالصوت المُنخفض انخفاضًا كبيرًا قد يهدف إلى الإحساس بالشك أو إلى نقل الحرص على كتمان الحديث أو غير ذلك مما يُضيفه الصوت المنخفض إلى الكلام. والارتفاع الكبير في الصوت ضروري لمقدم الألعاب في «السيرك» مثلًا كما هو ضروري في مواقف أخرى كثيرة.

والإنسان يتعلم استخدام هذا «الميزان» في المجتمع، حتى يعرف استخدام ارتفاع الصوت وانخفاضه حيث ينبغي استخدامهما، فرجل السياسة مثلًا لا يهمس وهو يخطب في حشد من أتباعه، كما أن المحب وحبيبته لا يتصايحان وهما يجلسان يدًا في يد.

وميزان ارتفاع الصوت وانخفاضه دليل من أدلة البحث في بِنية المجتمع، فدرجة الصوت مرتفعة عادةً بين أهل الريف، وهي تختلف بينهم أيضًا حسب المنزلة

الاجتماعية، ولا يستطيع أحد أن يتحدث بصوت مرتفع أمام كبير العائلة. وفي المدينة تتحدد درجة الصوت وفقًا لمواقف اجتماعية كثيرة.

وقد كان العرب يُحبون الصوت القوي في مواقف مُعينة، وكانوا يهجون الرجل بانخفاض الصوت. وقد عرض الجاحظ لبعض هذه المواقف مُشيرًا إلى تأثير قوة الصوت وارتفاعه في عملية التوصيل، قال:

«وقد كان العباس بن عبد المُطلب جهيرًا، جهير الصوت، وقد مُدح بذلك، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حُنين حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ، فنادى العباس: يا أصحاب سورة البقرة، هذا رسول الله! فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل النُصرة وأتى بالفتح...» وفي شدة الصوت يقول الأعشى في وصفه الخطيب بذلك:

فيهم الخصب والسماحة والنجدة جمعًا والخاطب الصلاق

وقال بشار بن بُرد في ذلك يهجو بعض الخُطباء:

ومن أعجب الأيام أن قمت ناطقًا وأنت ضئيل الصوت مُنتفخ السحر[1]

٢- ميزان طبقة الصوت Pitch Scale:

وهو ميزان آخر غير ميزان الارتفاع والانخفاض، إنه الطبقة الصوتية التي ينطق بها كلام معين، والمعروف أن بعض الأغراض تقتضي طبقات صوتية خاصة، فالفرح والبهجة والحُزن والضيق وخيبة الرجاء كل أولئك يُعبر عنه الناس بطبقات صوتية مُختلفة. وبعض الناس يُعرفون بطبقة صوتية بحيث يؤدي تغييرها إلى أن يُدرك السامع أن شيئًا ما قد حدث، فيُفهم من ذلك شيئًا لا تحمله الألفاظ وحدها.

٣- ميزان الصوت المنفتح Openness Scale:

وأنت تجد هذا الميزان في ألوان معينة من الكلام، كتلك التي يُقدمها الدُّعاة

(١) الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر «القاهرة» ١٩٤٨، ١/ ١١٦.

الدينيون أو رجال السياسة حين يخطبون في «الجماهير» وبخاصة في الأماكن المفتوحة أو الساحات العامة. وأنت تلحظ هنا أنهم لا يستعملون «كلمات» أو «تركيبات» مباشرة تدل على المقصود دلالة دقيقة، وإنما يميلون في الأغلب إلى استعمال ألفاظ أو تعبيرات «رنانة»، ألفاظ تحمل أصواتها «أصداء» جانبية حتى تؤثر التأثير المنشود. وقد كان العرب يصفون الخطيب البليغ بأنه «مُفوه» لا تؤكل الألفاظ بين أسنانه أو تموت في جانب من جوانب فمه، وإنما هي تملأ هذا الفم فتخرج قوية واضحة بما يؤديه انفتاح الفم واتساعه.

٤- ميزان البطء والسرعة drawling-Clipping scale:

لكل كلام درجة مُعينة من السرعة، وبعض الناس يعرفون بأن نطقهم بطيء أو سريع بحيث يختلف عما هو مألوف في المجتمع ولكن المهم أن تغيير سرعة النطق في موقف كلامي معين قد يُضيف إلى معنى الألفاظ شيئًا، وقد يقلب المعنى إلى نقيضه، فنحن نلحظ أن «السرعة» الزائدة تدل في الأغلب على الحدة والغضب أو الرأي القاطع، ويمكن أن ننظر في مثل: «فورًا – امش – لا» حين تنطق نطقًا سريعًا. أما النطق البطيء المقطع فالأغلب أنه يُشير إلى السُّخرية أو عدم الرضا أو عدم التصديق، وذلك في مثل: «هـ – ا – ي – ل» أو «ف – ع – ل – ا» أو «مع السلامة» حين تنطق نطقًا بطيئًا.

وهذه الموازين التي ذكرناها ليست إلا أمثلة قليلة مما يرصده اللغويون في أبحاثهم عن «اللغة الجانبية». وغني عن البيان أنها ليست موازين عامة تنطبق انطباقًا واحدًا على المجتمعات الإنسانية، وإنما هي تنشأ في المجتمع نشأة اللغة العادية، ولها «نظامها» الخاص كما أن للغة العادية «نظامها» الخاص، ويتعلمها الطفل في المجتمع كما يتعلم اللغة، فهو يتعلم كيف يستخدم الضحك والابتسام والبكاء

وارتعاش الصوت وارتفاعه وغير ذلك وفقًا لما تفرضه عليه ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ثم تختلف هذه الموازين باختلاف الثقافات، ومن هنا أيضًا أهمية «اللغة الجانبية» في الدرس اللغوي بعامة، وعند بحث اللغة ووظيفتها «التوصيلية» في المجتمع على وجه الخصوص.

وقد أشار ابن جني إلى شيء من ذلك حين عرض لما يُصاحب الألفاظ المنطوقة من تنغيم في الصوت أو تفخيمه أو الإطالة فيه، وتأثير كل ذلك على المعنى، يقول:

«وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يُريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنما حُذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فنقول: كان والله رجلًا! فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلًا فاضلًا أو شُجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك – وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق فقلت: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا أو لحزًا أو مُبخلًا أو نحو ذلك»[1].

* * *

(١) الخصائص ٢/ ٣٧٠.

اللغة والاتصال

اللغة والحركة الجسمية

وهذا ميدان جديد من ميادين الدرس، أخذ يسلك طريقه إلى البحث العلمي في السنوات الأخيرة، واصلًا درس اللغة بدراسة المجتمع والإنسان، وهو ثمرة من ثمرات اتساع علوم «الاتصال»، ويمثل الآن جانبًا مهمًّا من جوانبه.

وصاحب هذا العلم الذي ارتاد طرائقه وأصل منهجه هو العالِم الأنثربولوجي (راي بيردوسل **Ray L. Birdwhistell**)، وقد أطلق عليه مُصطلح **Kinesics**[1]، وقصد به أن يدرس استخدام الإنسان حركات جسمه في عملية التوصيل بما يفيد في فهم العملية اللغوية وبما يفيد آخرًا في فهم ظواهر البناء الاجتماعي. وقد كتب بيردوسل عددًا كبيرًا من الأبحاث أنزلت دراسة الحركة الجسمية منزلة مهمة بين علوم الاتصال عمومًا وفي دراسة اللغة على وجه الخصوص[2].

أشرنا في عرضنا «للغة الجانبية» أن «المعاني» التي ينقلها الإنسان لا تحملها «الألفاظ» المنطوقة وحدها، بل تسهم فيها عوامل كثيرة، وأحيانًا تكون المعاني مُناقضة للألفاظ نفسها، ومن هذه العوامل استخدام الحركة الجسمية.

والحق أن حركة الجسم ليست مسألة عضوية يستخدمها الإنسان كيفما اتفق، وإنما هي «نظام» يتعلمها الإنسان داخل المجتمع، ولها «أنماطها» الخاصة بالثقافة.

(١) أطلقت عليه الدكتورة فاطمة محجوب اسم «علم الحركة الجسمية» أو «علم الكينات»، انظر كتابها: دراسات في علم اللغة – دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٧٦ ص: ١٥٩.

(٢) جمع **Barion Jones** أهم أبحاث بيردوسل في كتاب بعنوان:

Kinesics and Context, Essars on Body Motion Communication, University off Pennsylvauia Press, Philadelphis, 1970.

وعلى هذا الكتاب نعتمد في كتاب هذا البحث.

ويقول علماء الفسيولوجيا إن عضلات الوجه مثلًا يمكنها أن تُقدم للإنسان عشرين ألف تعبير وجهي، كل منها مُختلف عن الآخر، لكنه لا يُستخدم منها إلا عددًا قليلًا جدًّا وَفق ما يقتضيه بناؤه الاجتماعي.

ولما كان التعلم عملية مبنية على «أنماط» فإن تعلم الحركة الجسمية باعتبارها مظهرًا من مظاهر الاتصال يكون أيضًا وفق «أنماط»، ومن هنا تتأكد قيمتها الاجتماعية، ومن هنا يتأكد الاتجاه بأنها «نظام» يُمكن تحليله إلى عناصر، وتمكن دراسته دراسة منهجية.

والذي لا شك فيه أن هناك اختلافات كبيرة بين المجتمعات في استخدام الحركة الجسمية؛ فاللبنانيون والسوريون والفلسطينيون مثلًا يُحركون رءوسهم إلى أعلى دلالة على الرفض، ويُحركون حواجبهم إلى أعلى دلالة على الرفض أيضًا، على حين يُفيد تحريك الحواجب عند المصريين دلالات أُخرى. وكذلك نرى اختلافات كبيرة بين الشعوب في استخدام الرأس وأجزاء الوجه والكتفين والأيدي والأصابع والأرجل وغيرها من أعضاء الجسم. والذي لا شك فيه أيضًا أن هناك فروقًا واضحة في استخدام الحركة الجسمية داخل المجتمع الواحد، على مقياس الطبقات، وعلى مقياس المهن، وعلى مقياس اختلاف الجنسين. فالرجال والنساء يمشون ويجلسون ويقفون بطرق مُختلفة، وحركة رموش العيون وإغلاقها مختلفة اختلافًا كبيرًا جدًّا بين الرجال والنساء.

ولتأكيد فكرة «النظام» في استخدام الحركة الجسمية لضرب أمثلة مما جرت الدراسات عنه أو مما هو موضع ملاحظة من اللغويين. ولنبدأ «بالابتسام». نحن نحكم على شخص بأنه «ضاحك»، وعلى آخر بأنه دائمًا ذو «وجهٍ حزين» وعلى ثالث بأنه صاحب «ابتسامة». فما الابتسام؟

إنه - يقينًا - ليس مسألة طبيعية يشترك فيها كل الناس، ولا يدل عند من يستخدمونه على معنى كلي واحد؛ فهو لا يدل دائمًا على السرور والابتهاج. إنه - في الحقيقة - مسألة اجتماعية، يختلف بين بيئة وبيئة، ويختلف في البيئة الواحدة بين

موقف وموقف، فابتسام آنسة لرجال غُرباء في بيئة مُعينة قد يدل دلالة حضارية، على حين يكون غير مقبول في بيئاتٍ أخرى. والابتسام قد يؤدي إلى أن تسأل: ماذا حدث؟ وقد يُشير إلى «الجدية»، وإلى «عدم الجدية»، وهو يدل على «السرور» أو «المرح» أو «السخرية» أو «البَلَه». وقد يكون دليلًا على «رقة» إنسان و«صداقته» و«أخلاقه الطيبة». وقد يكون أيضًا دليلًا على «الشك» أو «القبول»، أو الإحساس «بالمساواة» أو «التعالي» أو «التواضع»، وقد يكون «إهانة» أو استنكارًا للإهانة، أو غير ذلك مما يمكن أن يؤديه من «معانٍ» وفقًا لأنماطه الاجتماعية.

والابتسام ليس حركة بيولوجية تؤديها الشفتان، ولكنه عملية كاملة تقتضي معرفة الصلة بين الشفتين والخدود والجفون والرموش والحواجب والجبهة، فهو إذن جزء من «نظام» لا يمكن درسه إلا في إطاره الاجتماعي.

ومن الأبحاث الطريفة بحث جرى على استخدام الحركة الجسمية بين المسرح الأمريكي والمسرح الفرنسي، انتهى إلى أن المسرح الأمريكي يُركز على الممثلين الأبطال الذين يؤدون «الأدوار» الأولى على حين تبدو أدوار الممثلين الثانويين ضعيفة باهتة، ويظهر ذلك واضحًا حين يؤدي هؤلاء الثانويون أدوارهم بالتركيز على النطق اللفظي، أي إن الممثل «ينطق» جملة مثلًا ثم ينتظر حتى يأتي دوره، أي إنه لا يستخدم الحركة الجسمية بحيث تجعله في «حضور» مُستمر. أما المسرح الفرنسي فلا يُركز على الأدوار الأولى من خلال «حركة» الممثل الثانوي، فهو دائمًا في «الدور» حتى عندما لا يقول شيئًا. ولعلنا نذكر ما يُقال كثيرًا من أن ممثلًا ما قد «سرق» أدوار الآخرين أو «سرق» الأضواء باستخدامه الحركة الجسمية في التمثيل.

ومن المواقف العائلية اليومية اجتماع الأسرة إلى مائدة الطعام، وهو موقف لفت الباحثين في الحركة الجسمية لمعرفة مكانها في الدلالة على البُنى الاجتماعية. ففي الأسرة الإنجليزية مثلًا يتحدث الأب وحده عند الإفطار بينما يكون هم الأم أن تُبقي الأولاد هادئين يستمعون إلى حديث الأب. أما الأسرة الأمريكية فإن الأب هو

الذي ينصت عند الإفطار وتقوم الأم بإدارة المائدة وتُنظم طريقة الأولاد في التعبير عن أنفسهم.

وفي بعض البلاد العربية يجلس الناس إلى موائد الطعام ذات التقاليد البدوية جلسة خاصة، يتناولون الطعام باليد اليُمنى ويضعون اليد اليُسرى إلى ظهورهم حتى لا تُشارك – سهوًا – في عملية التناول. وفي الريف المصري لا يُسمح بالكلام عند الطعام إلا للكبار، أما الضحك والابتسام فهو ممنوع البتة.

وقد كان للحديث عند تقديم الطعام للضيف منزلة خاصة عند العرب القدماء، يقول الجاحظ:

«ولأن العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القِرى ومن تمام الإكرام. وقالوا: تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة. وقال شاعرهم وهو حاتم الطائي:

سلي الجائع الغرثان يا أُم منذر ... إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

هل أبسط وجهي؟ إنه أول القرى ... وابذل معروفي له دون مُنكري

وقال الآخر:

إنك يا بن جعفر خير فتى ... وخيرهم لطارق إذا أتى

ورُب نضو طرق الحي سرى ... صادف زادًا وحديثًا ما اشتهى

إن الحديث جانب من القرى

وقال الآخر:

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ... ولم يلهني عنه غزال مُقنع

أحدثه إن الحديث من القرى ... وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وقال الآخر:

أُضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر ... ولكنما وجه الكريم خصيب»[1]

وهكذا فإنك تستطيع أن تجد مئات الأمثلة التي تستحق الدرس لفهم طرائق الاتصال داخل المجتمع من خلال الحركة الجسمية وارتباطها بالنظام اللغوي. وهذا الارتباط ذو جوانب مُتعددة لأنه ليس مقصورًا على استخدام حركة الجسم واللغة في عملية التوصيل، وإنما يتعدى ذلك إلى أن لكل لغة حركات جسمية خاصة، وأنت تستطيع أن تُراقب أحد الذين يُتقنون لغتين كالعربية والإنجليزية مثلًا، فإنك سوف تلحظ أنه يستخدم حركات جسمية عند تحدثه بالعربية تختلف عن تلك التي يستخدمها عند تحدثه بالإنجليزية. وقد قدم بيردوسل دراسة من شريط من الصور المُتحركة مما يُسمى بالأنباء المصورة عن أحد نواب نيويورك البارزين ويُدعى **Fiorello la Juardia** وكان يُتقن الحديث بالإيطالية واليديش وإنجليزية الأمريكيين. وقد انتهت الدراسة إلى أن أي إنسان يعرف هذه الثقافات الثلاث يستطيع – عند حذف الصوت – أن يعرف من الحركة الجسمية وحدها أي لغة كان يتكلم، ومعنى ذلك أن هذا النائب كان يعرف كيف يبدو إيطاليًّا، ويهوديًّا، وأمريكيًّا، لا بإتقانه هذه اللغات الثلاث فحسب ولكن بقدرته على استخدام الحركة الجسمية التي لها أنماطها الخاصة في ثقافة كل لغة من هذه اللغات.

والذي يهمنا أن نوضحه هنا أن دراسة الحركة الجسمية – باعتبارها مظهرًا من مظاهر الاتصال الإنساني وباعتبارها ضرورية لفهم النظام اللغوي – اتجهت مباشرةً إلى تطبيق مناهج اللغويين في البحث. ويبدو تطبيق هذه المناهج فيما يلي:

(١) إن «الحركة الجسمية» ليست حركات فسيولوجية، ولكنها «نظام» اجتماعي، شأنه شأن اللغة. تؤخذ بالاكتساب، وتدرس في إطار المجتمع. وهي لذلك قابلة للتحليل إلى عناصر حتى يمكن درسها وفق «مستويات» علمية كما نفعل في

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٢٢ – ٢٥.

دراسة اللغة عند دراستها على مستوياتها الصوتية والنحوية والدلالية. وقد تأكد لدى الباحثين أن هذا التحليل ضروري لأن الحركات الجسمية ليست عناصر مُنفصلة تنعزل بذاتها، وإنما هي تُشبه «الجذر» اللغوي **stem**، وهي أشكال مُرتبطة ومتضامة، توازي تراكيب اللغة، ولها نظام كنظام الكلمات والجُمل. وقد تأكد أن هناك سلوكًا جسميًّا يؤدي وظيفة كالأصوات الدالة، ويرتبط ارتباطًا بسيطًا أو مُركبًا في جمل وفي فقرات.

(٢) أن الحركة الجسمية كاللغة من حيث طبيعتها الجوهرية التي يفهمها تشومسكي وأصحابه بأنها «خلاقة» **Creative** أو مُنتجة **Productive** لأنها تتكون من عناصر محدودة ومع ذلك تنتج تركيبات لا نهاية لها، والإنسان ينطق كل يوم مئات من الجُمل التي لم ينطقها من قبل، ويسمع كل يوم مئات من الجُمل لم يسمعها من قبل[١]. والحركة الجسمية كذلك تتكون من عناصر محدودة لكنها تقدم تراكيب حركية لا تدخل تحت حصر، وتلك خصيصة من خصائص الاتصال الإنساني، وعليه فإن «نظام» الحركة الجسمية لا يدرس الآن وفق الاتجاه الوصفي الخالص الذي يقف عند الظواهر السطحية، وإنما يسعى إلى فهم «طبيعة» الإنسان عن طريق «تفسير» القوانين «العميقة» للحركة الجسمية و«تحولها» بعد ذلك إلى «أداء» ظاهري[٢].

(٣) يستخدم علماء الحركة الجسمية مُصطلحات اللغويين في التحليل اللغوي، فهم يدرسون «الوحدة الحركية الأساسية» تحت مُصطلح «الكينيم **kineme**» الذي تندرج تحته «أنواع» هي الألوكينات **allokines** وفقًا للمدة **duration** أو الدرجة **extent** أو الكثافة **intensity**، وهو مُصطلح اللغويين «الوحدة الصوتية **Phoneme**» الذي ينتظم «أنواعًا» هي **allophones**.

(١) Chemsky, Syntactic Structures. Mouton, and Co. ??? Hague, 1927, p. 13.

(٢) انظر كتابنا: النحو العربي والدرس الحديث – الإسكندرية ١٩٧٧ ص: ١١١ وما بعدها.

وكذلك يدرسون «الوحدة الحركية ذات المعنى» تحت مُصطلح «الكينومورفيم **Kinomorpheme** بتنوعاته»، وهو هو أيضًا مُصطلح اللغويين في «المورفيم **morpheme**». وهكذا.

وقد قدم بيردوسل دراسة عن «الوحدة الحركية الأساسية» (الكينيمات) في استخدام الأمريكيين للوجه والرأس نذكر منها ما يلي:

ثلاثة حركات خاصة بإيماء الرأس:

إيماءة واحدة – إيماءاتان – ثلاث إيماءات.

اثنتان خاصتان بتحريك الرأس جانبيًّا.

حركة واحدة – حركتان.

أربع درجات للعين:

الفتحة الجاحظة – إغلاقها مستطيلة ضيقة – إغلاقها إغلاقًا ضيقًا.

أربع درجات للأنف:

تجعيد الأنف – ضغط المنخارين ضغطًا مُسطحًا – اتساع المنخارين معًا – اتساع منخار واحد.

ست حركات للفم:

الشفاه المضغوطة – الشفاه البارزة – الشفاه المضمومة والمُنكمشة – والشفاه المسحوبة إلى أعلى.

الفم المُنبسط – الفم الفاغر.

حركات الذقن:

رفع الذقن أمامًا – دفعها جانبًا – دفعها إلى أسفل.

حركة الخدود:

الخدود المُنتفخة – الخدود الممتصة.

وهكذا قدم هذه الحركات باعتبارها الوحدات الأساسية في استخدام الأمريكيين

لبعض أجزاء الرأس والوجه، ومن الواضح أنها وحدات تتفرع إلى «تنوعات» على ما بيناه[1].

(٤) إن دراسة الحركية الجسمية لا تتم «بعزل» عناصرها وتحليلها فحسب، وإنما تقتضي وضعها في «سياق» حدوثها، وهو تطبيق لنظرية «سياق الحال **Cantext of situation**» في الدرس اللغوي كما ازدهرت عند فيرث على ما أوضحناه في مكانه من هذا البحث.

(٥) يستخدم علماء الحركة الجسمية مُصطلحات التحويليين وبخاصة فيما يُطلقون عليه عنصر «العلامة **marker**»، وقد أفرد بيردوسل دراسة خاصة عن خصائص العلامات في الاستخدام الأمريكي نذكر منها ما يلي:

(أ) العلامات الخاصة بالضمائر **Kinesic Pronominal Markers**:

ورمزها **Kp**، وهي عبارة عن الحركات الجسمية التي تُصاحب الدلالة على الضمائر نحو: أنا، هي، هو، هم، ... وضمائر الإشارة وضمائر الوصل.

(ب) علامات الجمع **Pluralization Markers**:

ورمزها **Kpp** هي حركات تلحظها عند الدلالة على الجمع مثل:

هم، كلكم، [illegible]رون، جميعًا، لا أحد منهم ... إلخ.

(جـ) علامات فعلية **Verboid Markers**:

ورمزها **Kv**، وهي حركات نلحظها عند استخدام الأفعال عند إسنادها إلى أسماء، وكذلك للدلالة على الزمن، من نحو:

أنا أعطيته إياه.

أعطني إياه.

أنت أعطيتني إياه.

الطالب يُذاكر.

(١) Birdwhistell: Kinesics and Context pp. 99. 101.

كان الولد يُذاكر ... إلخ.

(د) علامات المكان **Area Markers**:

ورمزها **Ka**، وهي حركات تستخدم عند الدلالة على المكان مثل:

فوق، تحت، لدى، وراء، أمام، في ...

(ضعه فوق المكتب – لقد وصل وراء صاحبه).

(هـ) علامات الطريقة **manner markers**:

ورمزها **Km**، وهي حركات تلاحظ على طريقة التحدث كأن نقول إنه فعل ذلك أو قاله بخشونة، أو بنعومة، أو بتشنج أو غير ذلك[1].

(٦) لما كانت «الحركة الجسمية» نظامًا اتصاليًّا ينشأ في المجتمع، له ما للغة من خصائص، فإنه يخضع أيضًا للدراسات اللهجية شأن ما يحدث في اللغات؛ ومن ثم توجد أبحاث خاصة بلهجات الحركة الجسمية **Kinesic Dialectology** على مقياسها الاجتماعي ومقياسها الجغرافي، وتوجد أيضًا دراسة للحركة الفردية **idionovement** التي تشبه اللهجة الفردية **idiolect**.

(٧) يعتمد اللغويون على المصدر البشري **informant** اعتمادًا كبيرًا في جمع مادتهم اللغوية على ما سيأتي عند حديثنا عن اللهجات، لكن علماء الحركة الجسمية وجدوا صعوبات كبيرة جدًّا في الاعتماد على هذا المصدر لأنه يتأثر تأثرًا مباشرًا حين يرى أعين الباحثين مركزة عليه فلا تستطيع أعضاؤه أن تتحرك حركة طبيعية، وتلك صعوبة غير موجودة في الدرس اللغوي لاستطاعة الشخص التحدث بطريقة طبيعية بعد تدريب مناسب، ومن ثم فإن الباحثين في الحركة الجسمية يعتمدون في جمع مادتهم – في الأغلب – على المُلاحظة الذاتية، وعلى الصور المُتحركة.

(٨) إذا كانت الحركة الجسمية تدرس باعتبارها مظهرًا مُهمًّا من مظاهر الاتصال، فإنها في الحق ليست دالة دلالة كاملة شأن اللغة سواء بسواء، وكما يهتم

(١) Ibid: pp. 120. 127.

اللغويون بدراسة «اللغة الجانبية» على ما عرضنا له آنفًا، يُخصص علماء الحركة الجسمية جزءًا من أبحاثهم لدراسة ما أطلقوا عليه مُصطلح «الحركة الجسمية الجانبية» **Parakinesics** مُستلهمين في ذلك الاتجاه اللغوي.

والحركة الجسمية تدرس وفق موازين تشبه تلك التي أشرنا إليها عند اللغويين، ونحن نقصد هنا موازين خاصة بأعضاء الجسم نفسها وليست خارجة عنها، من ذلك أن تدرس الحركة من حيث الطول أو السرعة، ومن حيث هيئة الوقوف أو الجلوس، ومن حيث حالة العضلة استرخاء أو صلابة، ومن حيث لون البشرة التي قد تكون دهنية أو جافة أو مُتوردة أو صفراء أو غير ذلك.

وهكذا فإن اختيار المنهج اللغوي لدراسة الحركة الجسمية ليس اختيارًا جُزئيًا وليس اعتسافًا في الوقت نفسه، لأن اللغة والحركة الجسمية عنصران مُتكاملان، لا يستغني أحدهما – في الأغلب – عن الآخر، وهما يُشكلان أهم عناصر الاتصال الإنساني. ومن ثم فإن فهمهما فهمًا صحيحًا لا يكون إلا بدراستهما من خلال ظواهر الاتصال المختلفة، بل يرى بيردوسل أن اللغة ليست نظامًا كاملًا مُستقلًا، وأن الحركة الجسمية ليست نظامًا كاملًا مُستقلًا كذلك، ولكنهما نمطان من النُظم الاتصالية الدنيا **Infracommunicational systems**، وأنهما إذا ارتبطا بكل الأنماط الحِسيَّة الأخرى فإننا يمكن أن نصل إلى معنى النظام الاتصالي الحقيقي[1].

ومما هو وثيق الصلة بالحركة الجسمية فرع آخر من فروع البحث في ظواهر «الاتصال». وهو استخدام «المسافة» بين الناس ودلالة ذلك من حيث البناء الاجتماعي وتأثيره على الدلالات اللغوية أيضًا. ويُطلق العلماء على هذه الدراسة مُصطلح **proxemics**[2].

ذلك أن المسافة التي يستخدمها الناس فيما بينهم لها درجات متفاوتة، وهي

(١) Ibid: 124.

(٢) Wardhaugh, Ronald, Introduction to Linguistics. P, 22.

ليست واحدة في كل المجتمعات، وإنما لها «حدود» اجتماعية يتعلمها الإنسان داخل المجتمع، فالمسافة التي تفصل بين الأصدقاء عند الحديث ليست كتلك التي بين الغرباء، وهي غيرها بين الكبار والصغار، ومن الملاحظ أن هناك أجهزة خاصة من عملها أن تُراعي استخدام المسافة، وقد يكون لذلك أهمية خاصة كإعداد قاعات المؤتمرات والحفلات والموائد الرسمية، ولازلنا نذكر المناقشات التي دارت عن طريقة جلوس أعضاء الوفود في مؤتمر جنيف للشرق الأوسط.

ولعلنا نذكر أن شارل ديجول التفت إلى رئيس وزرائه يومًا وهما يسيران في أحد المواكب الرسمية وقال له: مسافة من فضلك!

على أنه من الملاحظ أنك تستطيع أن تضيف إلى المعنى اللغوي وأن تغيره أحيانًا عن طريق المسافة التي تتخذها عند الكلام، ونحن نلحظ اختلاف المسافة حين نتحدث حديث التودد، أو التوعد، أو الاستنكار، أو الاشمئزاز أو غير ذلك. وكل أولئك ليس شيئًا فيزيقيًا وإنما هو «نظام» «كنظام» الحركة الجمسية، و«نظام» اللغة سواء بسواء، وكلها مهم في فهم طبيعة الاتصال الإنساني، وفي الفهم اللغوي على وجه الخصوص.

وقبل أن ننهي هذا الحديث نود أن نُشير إلى أن الأدب العربي يحفل بشواهد كثيرة على استخدام أعضاء الجسم في الدلالة. ولم يكن ذلك درسًا للحركة الجسمية وإنما هو تعبير لغوي عنها، وهو عكس ما نحن بصدده[1]، ومن هذا الوادي ما تقدمه المعاجم العربية عن استخدام حركة ما من نحو ما قدمه الثعالبي عن «كيفية النظر وهيئاته في اختلاف أحواله» يقول:

«إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه قيل رمقه» فإنه نظر إليه من جانب أذنه قبل لحظة. فإن نظر إليه بعجلة قيل لمحة. فإن رماه ببصره مع حدة نظره قيل حدجه

(١) قدمت الدكتورة فاطمة محجوب دراسة طيبة عن «القرآن وعلم الحركة الجسمية» في كتابها: دراسات في علم اللغة ص: ١٨٧ – ٢٠٥.

بطرفه، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه (حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم). فإن نظر إليه بشدة وحدة قيل: أرشقه وأسف النظر إليه، وفي حديث الشعبي أنه كره أن يسف الرجل نظره إلى أمه وأخته وابنته. فإن نظر إليه نظر المتعجب منه أو الكاره له أو المُبغض إياه قيل: شفنه وشفن إليه شفونا وشفنا. فإن أعاره لحظ العداوة قيل: نظر إليه شزرًا. فإن نظر إليه بعين المحبة قيل: نظر إليه نظرة ذي علق. فإن نظر إليه نظر المستثبت قيل: توضحه. فإن نظر إليه واضعًا يده على حاجبه مُستظلًا بها من الشمس ليستبين المنظور إليه قيل: استكفه واستوضحه واستشرفه. فإن نشر الثوب لينظر على صفافته أو سخافته أو يرى عوارًا إن كان به قيل: استشفه. فإن نظر إلى الشيء كاللمحة ثم خفي عنه قيل: لاحه ... فإن نظر إلى جميع ما في المكان حتى يعرفه قيل نفضه نفضًا ... فإن فتح جميع عينيه بشدة النظر قيل حدَّق، فإن لألأهما قيل برق عينيه. فإن انقلب حملاق عينيه قيل: حملق. فإن غاب سواد عينيه من الفزع قيل: برق بصره. فإن فتح عين مفزع أو مُهدد قيل: جمح. فإن بالغ في فتحها وأحدَّ النظر من الخوف قيل: حدج وفزع. فإن كسر عينه في النظر قيل دنقس وطرفش ...»[1].

ومن قبل عرض الجاحظ لتأثير حركة الجسم أو الإشارة عمومًا على الدلالة فقال:

قد قلنا في الدلالة باللفظ، فأما الإشارة: فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافع الصوت والسيف فيكون ذلك زاجرًا رادعًا، ويكون وعيدًا وتحذيرًا.

والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط!

«وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلاف في طبقاتها دلالتها؟ وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح

(١) الثعالبي: فقه اللغة – المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧ هـ. ص: ٨٢.

مرفق كبير، ومعونة حاضرة في أمور يسرها الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة. ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم».

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبًا ... وأهلًا وسهلًا بالحبيب المُتيمِ

وقال الآخر:

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه

وفي العين غنى للمرء أن تنطق أفواه

وقال الآخر:

ومعشر صيد ذوي تجلة ... ترى عليهم للندى أدلة

وقال الآخر:

ترى عينها عيني فتعرف وحيها ... وتعرف عيني ما به الوحي يرجع

وقال الآخر:

وعين الفتى تُبدي الذي في ضميره ... وتعرف بالنجوى الحديث المغمسا

وقال الآخر:

العين تُبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانًا

«هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت. فهذا أيضًا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت، والصوت هو آلة اللفظ، وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف. ولا تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا ولا منثورًا إلا بظهور

الصوت. ولا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع والتأليف. وحُسن الإشارة باليد والرأس من تمام حُسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل التفتل والتثني واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور»(١).

ويقول في المعاني: «ثم اعلم حفظك الله أن حُكم المعاني خلاف حُكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ومُمتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومُحصلة محدودة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها: اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، وتُسمى (نصبة)، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات».

«ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها، وحلية مُخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم من حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغوًا بهرجًا وساقطًا مطرحًا»(٢).

* * *

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٧٩ - ٨٠.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٧٨.

اللغة والاتصال

اللغة عند الحيوان

في القرآن الكريم: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[النمل: ١٦ - ١٩]

ويتحدث نُحاة العربية القدماء عن ظاهرة أطلقوا عليها «أسماء الأصوات» ويُعنون بها الألفاظ التي يوجهها «الإنسان» إلى الحيوان لزجره أو لدفعه إلى أداء أمر مُعين، من ذلك ما نقلوه عن العرب من زجرهم الإبل بقولهم: هيد - عاه، ومن زجرهم الغنم بقولهم: إس - هس - هج، والبغل بقولهم: عدس، ومنه صياحهم على الإبل أن ترد الماء بقولهم: جوت. أو نخ إذا طلبوا منها الإناخة.

وقد عرض الجاحظ لشيء من لغة الحيوان كما يفهمها أفراده وكما يفهمها عنه الإنسان، قال:

«ثم لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم، كذلك يُقال في الجملة. كما يُقال الصامت لما لا يصنع صمتًا قط ولا يجوز عليه خلافه، والناطق لما لم يتكلم قط، فيحملون ما يرغو، ويثغو، وينهق، ويصهل، ويشحج، ويخور، ويبغم، ويعوي، وينبح، ويزقو، ويضغو، ويهدر، ويصفر، ويصوصي، ويقوقي، وينعب، ويزأر، وينزب، ويكش، ويعج، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض ... والفصيح الإنسان، والأعجم كل ذي صوت لا يفهم إرادته إلا ما كان من جنسه،

ولعمري إنَّا نفهم عن الفرس والحمار والكلب والسنور والبعير كثيرًا من إرادته وحوائجه وقصوده. كما نفهم من إرادة الصبي في مهده، ونعلم – وهو من جليل العلم – أن بكاءه يدل على خلاف ما يدل علي ضحكه. وحمحمة الفرس عند رؤية المخلاة، على خلاف ما تدل عليه حمحمته عند رؤية الحجر، ودُعاء الهرة الهر خلاف دعائها لولدها. وهذا كثير»[١].

وينقل ابن عبد ربه أن «النحل أطرب الحيوان كله إلى الغناء، وأن أفراخها لا تستنزل بمثل الزجل والصوت الحسن. قال الراجز:

والطير قد يسوقه للموت إصغاؤه إلى حنين الصوت[٢]».

هذا شيء من تصوير العرب للغة الحيوان، لكن الذي نحن بصدده شيء آخر.

إنه منهج يراه المحدثون ضروريًا لفهم الاتصال الإنساني، ومن أجل هذا الفهم لا يألون جهدًا في معرفة «أنظمة» الاتصال التي يمكن أن تكون لدى أشكال الحياة الأخرى. وهم يرون دراسة «الاتصال» عند الحيوان ضرورية لفهم الخصائص المميزة للغة الإنسانية.

وثمة أسئلة تشغل بال المهتمين بهذا اللون من الدراسة:

– أي الحيوانات يمتلك «أنظمة» متطورة للاتصال؟

– ما «خصائص» هذه الأنظمة، وكيف تختلف عن خصائص اللغة الإنسانية؟

– هل تستطيع الحيوانات أن تكتسب اللغة عن طريق التعليم؟

– أيختلف الاتصال الحيواني عن اللغة الإنسانية اختلافًا «كميًّا»، بمعنى أن لديه نفس القدرة ولكن على حجم أقل؟

– أم يختلف اختلافًا «كيفيًّا»، أي إنه اتصال من نوع آخر؟

ومن أشهر الدراسات التي تمت في هذا المجال ما قدمه لورنز **Konrad**

(١) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون – مُصطفى البابي الحلبي ١/ ٢٢.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٦/ ٥.

Lorenz عن نظام الاتصال لدى نوع من الغربان **Jackdaws**، انتهت إلى أن لديها نداءات خاصة يستخدمها الذكور في «مُغازلة» الإناث، وأن لديها صوتًا خاصًّا للدعوة إلى الطيران من أعشاشها، وصوتًا مُخلفًا للعودة إليها، ثم صوتًا آخر عند الإحساس بالخطر.

وقد أشار لورنز إلى أن هذه النداءات ليست خاصة بمجتمع مُعين من هذه الغربان وإنما هي واحدة لديها في أماكن مختلفة من العالم ومن ثم فهي ضرب من الخصائص الكلية **universals** لدى هذه الطيور.

ومن ذلك أيضًا ما قدمه كارل فون فرش **Karl Von Frisch** عن نظام الاتصال عند «النحل» وقد وجه اهتمامه إلى «رقص» النحل، وبخاصة رقص النحلة الجوالة التي تطوف هنا وهناك بحثًا عن مصدر للرحيق، وقد لاحظ أن هذه النحلة تستخدم «نظامًا» خاصًّا يشمل سرعة مُعينة من الرقص ودرجة مُعينة تربط الرقص باتجاه الشمس. وهذا الضرب من الرقص كفيل أن يخبر بقية النحل عن مكان الحقل وبعده عن الخلية. وقد أثبتت الدراسة أن النحل يستطيع أن يُخبر عن حقل يبعد عن الخلية أربعة أميال. وهذه الرقصة وحدها كفيلة «بتوصيل» هذه «الرسالة» لأن النحلة الجوالة يمكن أن تبقى في الخلية ويذهب النحل الآخر إلى مصدر الرحيق اعتمادًا على ما «ما فهمته» من طريقة الرقصة وسرعتها وهيئة اتجاهها نحو الشمس، وتخلص هذه الدراسة إلى أن هذه الأنظمة من الاتصال «كلية» أيضًا عند طوائف النحل لأن الاختلافات التي رصدها كانت قليلة جدًّا لا تمس جوهر الاتصال نفسه.

وهناك أبحاث أخرى عن أنظمة النداء عند أنواع من القرود **Jibbons** رصدت فيها نداءات مُختلفة تستخدم داخل مُجتمعاتها لتوصيل أخبار عن طعام أو عن خطر أو غير كذلك.

وقد أثبتت أبحاث أخرى أن الدرافيل تمتاز بنظام مُتطور من الاتصال لأن الواحد منها يستطيع أن يُخبر عن مكان لا بالنسبة للأشياء الجامدة فحسب ولكن

بالنسبة للأشياء المتحركة أيضًا[١].

ومن اللافت أن الحيوانات الأليفة مُتخلفة جدًّا في كل طرائق الاتصال بين أفرادها من ناحية وبينها وبين الإنسان من ناحية أخرى.

وهذه الدراسات عن نُظم الاتصال عند الحيوان أفضت إلى تأكيد الخصائص المميزة لغة الإنسانية، وهي ما يمكن أن نوجزها فيما يلي:

(١) الثنائية:

وهي أهم خصائص اللغة الإنسانية، لأنها «نظام» يحتوي على نظامين فرعيين، واحد للأصوات، وآخر للمعاني.

وهذان النظامان يُقدمان للإنسان «اقتصادًا» أساسيًّا في عملية التوصيل، لأن النظام الأول يتكون من عدد محدود من الأصوات، وهو يتيح لك أن تنقل عددًا مُعينًا من المعاني، ثم عددًا آخر وآخر وآخر، في جُمل لا تدخل في حصر.

وهذه الثنائية غير موجودة في الاتصال الحيواني، لأن صيحات الحيوان أو نداءاته مما أشرنا إليه إنما هي «وحدات» فردية مُتميزة، لا تخضع بطبيعتها للتحليل.

(٢) الخلق أو الإنتاجية:

وهي ثمرة من ثمرات الخصيصة السابقة، ذلك أن اللغة تمكن الإنسان من أن ينقل كل لحظة «رسائل» و«معاني» لم يسبق له أن أدَّاها، وتمكنه من أن يفهم «رسائل» جديدة لم يكن له بها عهد من قبل. وقدرة اللغة الإنسانية على «الخلق» وعلى «الإنتاج» لا توجد في الاتصال الحيواني، فمهما تكن المسافة التي تستطيع رقصة النحل أن تُخبر عنها فإنها مقصورة على الإخبار عن مكان الرحيق ليس غير، إنها رقصة غير «خلَّاقة» وغير «مُنتجة». لأن النحل لا يستطيع أن يُشير بها إلى الناس أو إلى الحيوان أو الأمل أو الفشل أو غير ذلك.

(١) Wardhagh: Introduction to Linguistics, pp. 27.

(٣) التحكمية:

منذ زمن طويل والناس يتحدثون عن صلة «الرمز» اللغوي بالشيء الذي يدل عليه، ومهما تكن كثرة الآراء عن هذه الصلة، فإن الحقيقة التي يؤمن بها دارس اللغة أنه ليست هناك صلة طبيعية للرمز بالشيء، فعلاقة الكلمة بالمعنى، أو اللفظ بالشيء، علاقة تحكمية، اعتباطية، عرفية، تولد داخل المجتمع وتتغير بتغير المكان والزمان. أما في الاتصال الحيواني فإن صلة الرمز بالشيء الذي يدل عليه تكاد تكون صلة «أيقونية» **iconic**، أي تتبع مثالًا خاصًّا لا يتغير، فرقصة النحل تدل على مكان الرحيق ليس غير، وهي تدل عليه في كل بيئات النحل دون تغيير.

(٤) التبادل الداخلي:

إن اللغة تُمكن الإنسان من أن يكون «مُرسلًا» و«مُستقبلًا» في الوقت نفسه، فهي التي تتيح التبادل الداخلي في المجتمعات، وقد نجد شيئًا من ذلك عند بعض الحيوان كالقرود، ولكنه غير موجود عند كثير من الحيوانات، فبعض ذكور الطيور مثلًا له نداءات خاصة لا يستعملها إلا في غرض مُعين، وهي نداءات ليست موجودة عند الإناث بحيث يمكن أن تكون وسيلة للتبادل داخل مجموعات هذه الطيور.

(٥) الشمول:

إننا نستخدم اللغة في الدلالة على أشياء حقيقية، وعلى أشياء مُتخيلة، وعلى أشياء مادية، وعلى أمور معنوية، ونستخدمها للإشارة إلى أشياء في الماضي، وفي الحاضر، وفي المستقبل، ولا يوجد شيء – مهما يكن – إلا ونستخدم اللغة في الإشارة إليه، بل نحن نتحدث عن اللغة باللغة. أما الاتصال الحيواني فليس فيه من ذلك شيء، إن نداء القرود مثلًا عن الطعام ينتج من الاتصال المباشر بالطعام وحين يكون الطعام حاضرًا في مجال حواسها، ولكنها لا تستطيع مثلًا أن تنطق شيئًا يُشير به إلى طعام أكله أمس أو الأسبوع الماضي.

(٦) التخصص:

إن الإنسان يتحدث وهو يأكل، ويتحدث وهو يلعب، ويتحدث وهو يعمل، أي إنه يستطيع أن يتحدث وهو يؤدي شيئًا لا صلة له بموضوع الحديث، أما الحيوان فلا يستطيع؛ فالنحلة التي ترقص إنما تنهمك (فيزيقيًّا) في عملية التوصيل ليس غير.

(٧) النقل الثقافي:

إن نداء الحيوان يتوارث؛ أما اللغة الإنسانية فلا تؤخذ إلا بالاكتساب؛ فهي لا تعيش ولا تنقل إلا من خلال «ثقافة» المجتمع.

وهذا الإيجاز الشديد لخصائص اللغة الإنسانية – بعد دراسة الاتصال الحيواني – يجعل «حقيقة» اللغة ومكانها من «الطبيعة البشرية»، ويجعل دراستها في ضوء علوم «الاتصال» أمرًا ضروريًّا إذا كان لنا أن نفيد من دراستها في فهم هذه الطبيعة؛ وهو هدف سوف يظل من الأهداف الكبيرة لدى الإنسان.

* * *

اللهجات الإقليمية

الحديث عن اللهجات حديث طويل، وفيها أبحاث غير قليلة، ولا يزال يدور عنها نقاش ونقاش، يُثير بعضه الشك في جدوى دراستها، ويُثير بعضه الشك فيما «يستتر» وراءها من أغراض. وكل أولئك لا يعنينا هنا، بل لا يعنينا أن نخوض في تفصيل الدرس اللهجي نفسه. وإنما الذي يعنينا أن نؤكد أن البحث في اللهجات بحث «علمي». وهو بحث «لغوي»، بل هو أقرب الأبحاث إلى «طبيعة» اللغة، ثم إن الذي يعنينا هنا أن البحث في اللهجات يدخل في اهتمام اللغويين وعلماء المجتمع على السواء.

والذي لا شك فيه أن اللغة الواحدة «تتنوع» حسب الأفراد وحسب ظواهر الاجتماع وحسب اختلاف المكان، بل إن الفرد الواحد لا ينطق كلمة واحدة أو جملة واحدة بطريقة واحدة، وإنما يتغير نطقه للكلمة أو تركيبه للجملة وفقًا لعوامل كثيرة. ونحن لن نعرض هنا للهجة الفرد **idiolect** لأنها ليست ذات دلالة كبيرة في فهم البناء الاجتماعي، وإنما نعرض لما يهتم به اللغويون وعلماء المجتمع؛ وهو دراسة اللهجات الإقليمية **regional dislects** واللهجات الاجتماعية **social dialects**.

وغني عن البيان أن اللغة تختلف في المدينة الواحدة، وتختلف من مدينة إلى مدينة، ومن إقليم إلى إقليم، وهذا الاختلاف اللغوي ظاهر في البيئات التي استقر فيها السكان منذ زمن بعيد، وظاهر أيضًا في البيئات التي بدأ فيها الاستقرار السكاني منذ أمد قريب كالقارة الأسترالية. والباحثون يهتمون بدراسة هذا الاختلاف القائم على عوامل جُغرافية.

والبحث في اللهجات الإقليمية واللهجات الاجتماعية بطبيعته بحث حقلي، يقتضي دراسة اللهجة في بيئتها ذاتها، ومن أصحابها أنفسهم، ويعتمد على المصدر

البشري الذي يُطلِق عليه الباحثون مُصطلح **informant** (سوف نعرض لطريقة اختياره وتدريبه). ويتم جمع المادة وتصنيفها حسب الظواهر الصوتية والنحوية والدلالية، ثم يتم توزيع هذه الظواهر على خرائط لغوية فيما يُعرف بالأطلس اللغوي.

ويُعرف الدرس اللغوي الآن عددًا من الأطالس، منها أطلس **Georg wenker** في ألمانيا، وأطلس **Jules Gillieron** في فرنسا؛ وأطلس **Jaberg** و**Jud** في إيطاليا، وأطلس **Hans kurath** في انجلترا الجديدة[١]. أما محاولات الخرائط اللغوية في العربية فهي قليلة جدًّا. ولم تصل إلى رسم أطلس كامل[٢].

وأهم خطوة في رسم الخرائط اللغوية هي رسم الخطوط اللهجية **isoglosses** وهي خطوط وهمية ترسم على وجه التقريب، أي إنها ليست خطوطًا مُحددة تحديدًا دقيقًا كالخطوط السياسية مثلًا، وهذه الخطوط تُحدد انتشار ظاهرة لغوية مُعينة، والمشهور من رسم الأطالس اللغوية حتى الآن أن «المناطق» اللغوية تتنوع بهذه الخطوط إلى ثلاثة أنواع:

(١) منطقة تتركز فيها ظاهرة لغوية معينة، بحيث تكون هذه المنطقة «كالبؤرة» التي تنتشر منها هذه الظاهرة إلى المناطق المجاورة، وهي تُسمى اصطلاحًا «بالمنطقة» البؤرية **Focal area** توضحها الخطوط التالية:

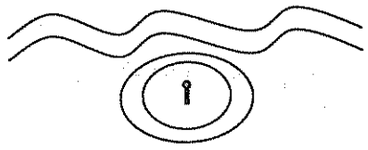

(١) **Malmstrom, Language in Society, Hyden Book Company, inc. New Jersey 1973, p. 55.**

(٢) انظر في هذا:

Rabin (Chaim): Ancient West Arabia. London 1921.

ومحاولتنا في كتابنا: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ ص: ٢٠٨ – ٢٤٠. وقد تمت طباعته طبعة جديدة بدار الصحابة بطنطا.

(٢) منطقة تنتشر فيها ظاهرة لغوية انتشارًا غير مُستقيم الخطوط، وإنما تتقاطع الخطوط في مكان؛ ثم تعود لتتقاطع في مكان آخر، وقد تنتشر على هيئة «مروحة»، وأشهر مثال على ذلك ما يُعرف في الألمانية «بمروحة الراين» حيث تظهر الظاهرة في خط مستقيم في الشرق ثم تتفرع إلى خطوط مروحية في الغرب وذلك مثل صوت **(K)** في الألمانية المنخفضة في الشمال الذي ينطق **(X)** في الألمانية العالية في الجنوب في نحو:

(maken) – (maxen) «machen»

وصوت **(P)** في الشمال و**(F)** في الجنوب في نحو:

(dorf) - (dorp)

وصوت **(T)** في الشمال و**(S)** في الجنوب في نحو:

(dat) – (das)

وهذا النوع من المناطق يُسمى منطقة انتقالية أو منطقة تقاطعية

graded or transitional area

(٣) منطقة تكاد تكون مُنعزلة جُغرافيا، فتركز فيها ظاهرة لغوية لا تنتشر بسبب الانعزال إلى مناطق أخرى، وليس شرطًا أن تقع هذه المنطقة في الأماكن النائية أو على الحافة، بل قد تكون على جبل قليل الاتصال بما حوله، أو في جزيرة، أو كبعض الواحات المصرية، بل قد لا ترجع إلى عامل جغرافي أساسًا كلغة النساء أو (الحريم) في بعض البيئات المُتطرفة في المحافظة وإن كانت تُقيم في المدن الكبيرة وهذا النوع يُطلق عليه مُصطلح مناطق الحافة أو المناطق الهامشية **marginal area**[١].

هذه هي أشهر المناطق اطرادًا في الأطالس اللغوية المعروفة حتى الآن، وهذا الاطراد يجعلها أقرب إلى الرموز الاصطلاحية التي يفهمها اللغويون وعلماء

(١) **Hall (Robert): Introductory Linguistics, Motilal Banarsidess, Delhi, 1969. pp. 239 – 252.**

الاجتماع، ويُرتبون على ذلك ما يرون من علائق البيئة التي تفيد بعد ذلك في فهم علائق الاجتماع.

ورسم هذه الخرائط اللغوية يقتضي كما قلنا عملًا حقليًّا مُنظمًا، يؤديه «فريق» من الباحثين؛ ويعتمد على الاتصال المباشر بالمصدر البشري، ويجمع الظواهر اللغوية بطرق مُختلفة أهمها – في اللهجات الإقليمية – استخدام الاستبيانات **questionnaires** التي ينبغي أن تتضمن.

معلومات عن اسم الشخص ومحل ميلاده وتاريخه، والأماكن التي عاش فيها، والمدة التي قضاها في كل مكان، ومستوى تعليمه.

ثم تتضمن أيضًا معلومات عن الوالدين وعن الأجداد.

ثم تقسم وفقًا لأغراض البحث إلى الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، مع التركيز على «الأشياء» التي تستخدمها البيئة استخدامًا أساسيًّا لأن المتكلم يتحدث – في الأغلب – حديثًا طبيعيًّا حين يتحدث عن هذه الأشياء، كالتركيز على الظواهر اللغوية المتصلة بأدوات الري والحرث والحصاد في القرية المصرية مثلًا. وهذا التركيز على وجه الخصوص يُطلق عليه الباحثون الألمان مُصطلح: **Worter und Sachen** (الكلمات والأشياء)، ويعنون به الاهتمام بتوزيع الظواهر غير اللغوية عند رسم الأطالس كالعادات والأدوات مما يُفيد في فهم حركة الكلمات والأشياء.

إن دراسة اللهجات الإقليمية على هذا المنهج دراسة علمية أصيلة لا شك، وهي ضرورية لفهم علاقة اللغة بالبيئة، ولفهم حركة اللغة من علاقة البيئات بعضها ببعض، ثم لفهم البناء الاجتماعي في ضوء هذه العلاقات.

وهذه الدراسة قد تكون مُفيدة أيضًا في فهم بعض الجوانب التاريخية المُتصلة بالتطور اللغوي.

* * *

اللهجات الاجتماعية

واللهجات الاجتماعية **social dialects** أقرب إلى اللغويين وعلماء المجتمع وعناياتهم بها أشد لأنها أكثر دلالة على حركة الإنسان في إطاره الاجتماعي. وإذا كانت اللهجات الإقليمية تتوجه إلى درس الظواهر اللغوية في ضوء علاقات المكان، فإن اللهجات الاجتماعية تعني بدرس هذه الظواهر أحيانًا بمعزل عن المكان وفي إطار شامل من العلاقات الاجتماعية. وهناك دراسات كثيرة جرت على هذا المنهج كتلك التي أجراها **Ross** عن استعمال اللغة عند الطبقة العليا وعند الطبقات الأخرى في انجلترا.

«U» & «none - U» in England

مُشيرًا بالحرف «**U**» إلى الطبقة العليا **upper class**.

وبالرمز «**none - U**» إلى الطبقات غير العُليا **none – upper - classes**.

على أن درس اللهجات الاجتماعية – في الأغلب – لا يستبعد درس المكان ودرس العوامل غير الاجتماعية الأُخرى في فهم الظواهر اللغوية كما سيظهر من طُرق البحث التي نُشير إليها بعد قليل.

والبحث في اللهجات الاجتماعية يهتم بدراسة «التنوع» اللغوي المُنتظم. أي إنه يعني بدراسة هذا التنوع وفقًا لمقاييس اجتماعية واضحة، كمقياس العمر، والجنس، والمهنة، في المستوى الاقتصادي.

وغني عن البيان أيضًا أن التنوع اللغوي في صورته الاجتماعية يشمل كل المستويات اللغوية، الصوتية والنحوية والدلالية.

(١) اللهجة والعمر:

تؤخذ اللغة اكتسابًا، أي إن الإنسان يتعلمها داخل المجتمع، ووسائل التعلم تتطور لدى الإنسان مع مراحل العمر، ومع تطور هذه الوسائل تتنوع لغة الفرد

الواحد، فكل واحد منا يتكلم في طفولته لغة تختلف اختلافًا ما حين يتكلمها في شبابه، وحين يتكلمها في كِبَرِهِ.

وإذا كانت اللغة تختلف عند الفرد الواحد على طريق العمر، فإن هناك تنوعًا لغويًّا أكثر وضوحًا وأكثر دلالة على الظواهر الاجتماعية، ونعني به ذلك التنوع بين الكبار والشباب مثلًا، ذلك أن الكبار لهم لغتهم والشباب لهم لغتهم وقد لا يستطيع أحد الجيلين أن يفهم الآخر وهما يعيشان في بيئة واحدة ويتكلمان لغة واحدة، ومن ثم يتحدث الباحثون عما يُسمى بالفجوات اللغوية بين الأجيال **Linguistic generation gaps**، وهي فجوات تحاول الأجيال أن تسدها بلغة مُشتركة نلحظها في المجتمع حين يتحدث الآباء إلى أبنائهم، أو الكبار إلى الصغار، أو هؤلاء إلى أولئك، فإنهم في الأغلب يتحدثون لغة ثالثة تؤدي إلى الاتصال الذي كان يحول دونه اختلاف الأجيال في مراحل العمر.

(٢) اللهجة والجنس:

والتنوع اللغوي على مقياس الجنس ليس مقصورًا على المجتمعات التي توجد فيها حدود قوية تفصل الذكور من الإناث، لكنه موجود أيضًا في المجتمعات التي تضعف أو تختفي هذه الحدود، فالذي لا شك فيه أن هناك لغة للرجال وأخرى للنساء. ومن الواضح أن النساء حين يلتقين وحدهن يتحدثن لغة تختلف عن تلك التي يتحدثها الرجال حين يلتقون وحدهم أيضًا، وهم جميعًا يتحدثون لغة ثالثة حين يلتقون جميعًا. وكل ذلك بين في لغة التحيات، والمجاملات ثم في لغة الحياة اليومية ولغة تنظيم الأعمال. ونحن حين نعجب بشيء يرتديه رجل إنما نُعبر في الأغلب عن إعجابنا بجمال هذا الشيء لا بجمال صاحبه، لكنا حين نعجب بشيء ترتديه امرأة مثلًا فإننا نُعبر في الأغلب أيضًا عن إعجابنا بجمالها في سياق تعبيرنا عن جمال الشيء. وإذا كان التنوع اللغوي واضحًا هذا الوضوح فيما يُسمى بالمجتمعات المُتقدمة فإنه أكثر وضوحًا في المجتمعات التي تختلف فيها أدوار المرأة ووظائفها

عن أدوار الرجل ووظائفه لأنها حينذاك تصبح أكثر أهمية في فهم البناء الاجتماعي.

(٣) اللهجة والمهنة:

لكل مهنة لهجة خاصة **jargon** وبخاصة تلك التي تستخدم مُصطلحات فنية، فالأطباء والجنود والحلاقون والصيادون وغيرهم لهم «لغاتهم الخاصة». ومن علامات النجاح أن يُحسن الإنسان التحدث بلغة المهنة **jargon of vocation** حين يتحدث إلى زملائه. وبعض الناس يندمج في لهجته المهنية الخاصة حتى ليجد صعوبة بالغة عند الاتصال بأشخاص لا ينتمون إلى هذه المهنة، وليس ذلك مقصورًا على المهن «اليدوية» أو «غير المُثقفة» فحسب، بل نجده في المهن الأخرى، وقد نلحظ أن بعض كبار العلماء في شئون الاقتصاد أو التشريح أو الأدوية لا يُحسن الاتصال خارج مهنته المتخصصة من كثرة ما تستغرقه هذه المهنة ومن شدة ما يُسيطر عليه قاموسها الخاص.

إن هذا التنوع اللغوي الذي أشرنا إلى بعض أمثلته هو الذي يعرف باللهجات الاجتماعية، وهو ميدان مهم من ميادين البحث اللغوية كما ذكرنا، على أن طرق البحث فيه تقتضي جهدًا أكبر وتنويعًا في أدوات البحث من تلك التي يقتضيها بحث اللهجات الإقليمية.

والباحثون في هذا الميدان لا يكتفون باستخدام الاستبيانات المختلفة، وإنما يتصلون اتصالًا مُباشرًا بمن يختارونهم مصدرًا لجمع اللغة، ثم ينوعون في عملية الجمع، بالاستبيانات المكتوبة، وقراءة نصوص، وحلقات مناقشة حرة وبخاصة بين الأقران وغير ذلك من وسائل الجمع اللغوي وأجهزة التسجيل ليست ضرورية جدًّا في جمع المادة؛ فالأُذن المُدربة تدريبًا صوتيًّا علميًّا تستطيع أن تستغني عن هذه الأجهزة، بل إن جهاز التسجيل نفسه قد يكون سببًا في عدم الحصول على مادة لغوية صحيحة؛ لأن الناس في الأغلب يُغيرون حديثهم الطبيعي حين يرون أنفسهم أمام أجهزة التسجيل.

على أن أهم من يعتمد عليه الباحث اللغوي في اللهجات الاجتماعية هو من يعرف بالمصدر البشري **intormant** أو من يمكن أن نُسميه بالراوية، ومهمته في البحث أن يُقدم أمثلة من اللغة، وأن «يُنشيء» كلامًا يطلبه الباحث، ويُفسر استعماله، باللغة نفسها أو بلغة أُخرى.

واختيار هذا المصدر ليس عملية سهلة؛ إذ لا يصلح كل مُتكلم لهذه المهمة. وليس هناك مقياس قاطع في اختياره؛ فقد يكون شخص مصدرًا صالحًا عند باحث وغير صالح عند باحث آخر، والمسألة ترجع إلى ظروف البحث وإلى الباحث نفسه، غير أن هناك عوامل ينبغي ألَّا نغفلها عند اختيار المصدر البشري؛ فهو أولًا ينبغي أن يكون في حالة صحية مُناسبة لا توقعه في النسيان أو الغفلة أو التخليط، ثم ينبغي أن يكون لديه من الوقت ما يُتيح للباحث أن يلتقي به مُددًا كافية. ولا بد أن يكون مُتكلمًا جيدًا للغة؛ فبعض الناس يحب أن يتحدث كثيرًا؛ وبعضهم يتحدث بافتخار، وبعضهم يتمتع بخيال واسع لخلق موضوعات ومواقف للكلام، وكل أولئك مُفيد جدًّا للباحث في اللهجات. وثمة أسئلة ينبغي أن يعرفها الباحث عند اختياره مصدره:

١- هل يتقن التحدث بلغته؟

٢- هل يستعمل كلمات من مناطق أخرى؟

٣- هل هو مُسامر وقصاص يُحب قص الحكايات، ويستخدم «الأمثال» في حديثه؟

٤- هل يستطيع أن يشرح لغته شرحًا جيدًا؟

والباحثون عن اللهجات لا يكتفون - في الأغلب - بشخص واحد، إلا إذا كان القصد دراسة الخطوط العامة لبنية لغوية مُعينة. ولكن دراسة اللهجات الاجتماعية في تنوعها الذي أشرنا إليه تقتضي تعدد المصادر البشرية لأسباب كثيرة؛ منها جمع الملامح اللغوية الخاصة بالعمر أو بالطبقة أو بالمهنة أو بأي عامل اجتماعي آخر، ومنها أن الناس تختلف مهاراتهم اللغوية ويختلف حبهم لألوان الحديث؛ فثمة

شخص قصاص، وآخر شاعر، وثالث يكثر من الأمثال، ومنها أيضًا أن الناس لا يستوون في القدرة أو في الصبر على تقديم الأمثلة اللغوية؛ فالباحث في ظاهرة «التنغيم» مثلًا في لهجة مُعينة يحتاج من مصدره أن يُكرر كلمة واحدة مرات كثيرة، وليس ذلك ميسورًا لدى كل من يستعين بهم الباحث. إن تعدد المصدر البشري مهم جدًّا في منهج البحث حتى لا تكون الدراسة مبنية على تمثيل شخص واحد.

على أن الباحثين يتحاشون جمع من يستعينون بهم، لأنهم لا يتحدثون - في الأغلب - حديثًا تلقائيًا حين يكونون مجتمعين، ولأنهم يميلون أيضًا إلى تخطئة بعضهم بعضًا أمام الباحث مما يؤدي إلى ارتباك شديد في جمع المادة.

ومن حيث الثقافة والخصائص النفسية يحسن أن يكون الشخص الذي تستعين به في جمع المادة اللغوية ممن يستطيعون التحدث في موضوعات كثيرة تتصل بثقافة المجتمع، وذلك لا يعني أن يكون خبيرًا بكل شأن من شئون الحياة، ولكن المهم ألَّا يكون جاهلًا بالقيم الأساسية وبألوان النشاط الرئيسية في المجتمع. ويحسن أيضًا أن يكون ممن يتمتعون بقدر من الذكاء، والتيقظ، وقوة الذاكرة، والنشاط، والمرح، والصبر، والأمانة.

على أن ذلك لا يُغني عن فترة من التدريب يحاول الباحث فيها أن يشد «راويته» إلى الاهتمام والتعاون، وأن يعرفه بنظام العمل، والطريقة التي ينبغي أن يُجيب بها عن الأسئلة، والتي ينبغي أن ينطق بها الكلام قبل أن يُدونه الباحث وبعده، وما المعلومات التي يستطيع أن يُضيفها، بل إن الهدف من هذا التدريب أن يُفضي بهذا الشخص إلى أن يُفكر في اللغة كما يُفكر فيها الباحث نفسه[1].

وهذه صيغة مُقترحة لما ينبغي أن يتوافر لدى الباحث من معلومات عمن يستعين بهم في جمع مادته:

(١) Samarin (William J.), Field Linguistics, Holt, Reinhart and Winston, New york, 1976, 20 - 49.

الاسم .....

الجنس .....

العمر .....

العنوان .....

آخر درجة علمية .....

المعهد الذي تخرج فيه .....

المدارس التي تعلم فيها .....

هل أنت أكبر ابن في الأسرة؟نعم لا .....

إذا لم تكن الأكبر فما ترتيبك إذن؟ .....

محل ميلاد الوالدين: .....

الأب .....

الجد .....

الجدة .....

الأم .....

الجد .....

الجدة .....

الدين .....

اللغة التي تتحدث بها في البيت؟ .....

في العمل؟ .....

هل تتحدث لغة أو لغات أخرى؟ .....

عمل الأب .....

عمل الأم .....

عمل الزوج/ الزوجة .....

محل ميلاد الزوج/ الزوجة .....

الأماكن التي عاش فيها الزوج/ الزوجة .....

جنسية الزوج/ الزوجة .....

محل ميلاد والدي الزوج/ الزوجة .....

الأماكن التي عشت فيها غير هذا المكان .....

السنوات التي قضيتها هنا .....(١)

ومن الواضح أن هذه المعلومات ضرورية جدًّا في معرفة المصدر البشري والعوامل التي لها تأثير على لغته مما يُمثل عنصرًا أساسيًّا من عناصر التحليل اللغوي ومما يُفيد في الوقت نفسه في دراسة البناء الاجتماعي.

وبعد، فهذا هو منهج الدرس اللهجي كما يُطبق الآن في علم اللغة الاجتماعي، وهو منهج يراه أصحابه ضروريًّا – لصلته بالواقع اللغوي الحي – لفهم خصائص اللغة الإنسانية على العموم(٢).

* * *

(١) **Shuy. Wolfram. Riley: Field Techniques in an Urban Lanyuage Study. Center for Applied Linguistics. Washingtom. 1968, p. 56.**

(٢) صدرت في العربية عدة أبحاث عن لهجات عربية إقليمية وأخرى اجتماعية نذكر منها:

- إبراهيم السامرائي: التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق – معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨.
- أحمد حسين شرف الدين: لهجات اليمن قديمًا وحديثًا – مطبعة الجبلاوي بالقاهرة ١٩٧٠.
- حازم البكري: دراسات في الألفاظ العامية الموصلية – مطبعة أسعد ببغداد ١٩٧٢.
- رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللهجة اللبنانية والسورية – المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٢.

وخصائص اللهجة الكويتية – دراسة لغوية ميدانية – مطبعة الرسالة بالكويت ١٩٦٩.

- عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها) دار الكاتب العربي ١٩٦٨.
- ماسينيون: تعليقات على لهجة بغداد العربية – ترجمة الدكتور أكرم فاضل – مركز الفولكلور العراقي في وزارة الإرشاد ١٩٦٢.
- مراد كامل: اللهجات العربية الحديثة في اليمن – معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨.

المصادر

أولا: المصادر العربية:

- إبراهيم السامرائي:

التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق – معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ١٩٦٨.

- أحمد حسين شرف الدين:

لهجات اليمن قديمًا وحديثًا – مطبعة الجبلاوي بالقاهرة ١٩٧٠.

- أحمد أبو زيد:

البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥.

- بريتشارد (إيفانز):

الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة الدكتور أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٧٢.

- الثعالبي:

فقه اللغة وسر العربية، المطبعة الأدبية ١٣١٧ هـ.

- الجاحظ:

* البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨.

* الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

- ابن جني:

الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة ١٩٥٢.

- حازم البكري:

دراسات في الألفاظ العامية الموصلية، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٢.

- رفائيل نخلة اليسوعي:

غرائب اللهجة اللبنانية والسورية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٢.

- السيوطي:

الإتقان في علوم القرآن، القاهرة ١٩٣٥.

- ابن عبد ربه:

العقد الفريد.

- عبد العزيز مطر:

* خصائص اللهجة الكويتية، دراسة لغوية ميدانية، مطبعة الرسالة بالكويت ١٩٦٩.

* لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٨.

- عبد المنعم سيد عبد العال:

لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها)، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٨.

- عبده الراجحي:

* فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢.

* اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

* النحو العربي والدرس الحديث، الإسكندرية ١٩٧٧.

- علي عبد الواحد وافي:

اللغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥١.

- فاطمة محجوب:

دراسات في علم اللغة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦.

- لويس:

اللغة في مجتمع، ترجمة الدكتور تمام حسان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٩.

- ماسينيون:
تعليقات على لهجة بغداد العربية، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، مركز الفولكلور العراقي في وزارة الإرشاد ١٩٦٢.
- محمود السعران:
اللغة والمجتمع، المطبعة الأهلية، بنغازي ١٩٥٨.
- مراد كامل:
اللهجات الحديثة في اليمن، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨.
- الواحدي:
أسباب نزول القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، القاهرة ١٩٦٩.
- يسبرسن:
اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة الدكتور عبد الرحمن أيوب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٤.

ثانيًا: المصادر الأوروبية:

- Ardener (Edwin):
Social Anthropology and Languge, Tavistok publications London, 1971
- Birdwhistell (Ray L.):
Kinesics and Context. Essays on Motion Communication, edited by Barton Jones, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1970
- Chomsky (Noam):
Syntactic Structres, Mouton & Co. The Hague, 1957
- Clevenger (Theodore) and Matthos (Jack):
Communication Process, Scott, Foresman and Company, Glenview, Illinois, 1971
- Firth (J.R.):
Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, 1957

Selected Papers, edited by Palmer, Longmans 1968
- Hall (Robert):
Introductory Linguistics, Motilal Banarsidass, Delhi, 1969
- Lyons (John):
New Horisons in Linguistics, penguin Books, 1970
- Malmstrom (Jeam):
Language in society, Hyden Book Company, inc. New Jersey, 1968
- Ogden and Richards:
The meaning of meaning; Routledge & Kegan Paul Ltd, London, tenth edltion, 1949
- Rabin (Chaim):
Amcient west Arabia, London, 1951
- Samarin (william):
Field Linguistics, Holt, Rinehart and wisten, New York, 1976
- Shuy, wolfram, Riley:
Field Techniques in an Urban, Language Study, Center for Applied Linguistics, Washington, 1968
- Wardhaugh (Ronald):
Introduction to Linguistics, McGraw, Hill, Inc., New York, 1972

* * *

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٦

علم اللغة الاجتماعي ٨

الأنثربولوجيون ودراسة اللغة ١٢

اللغة والاتصال ٢٩

اللغة الجانبية ٣٢

اللغة والاتصال – اللغة والحركة الجسمية ٣٧

اللغة والاتصال – اللغة عند الحيوان ٥١

اللهجات الإقليمية ٥٧

اللهجات الاجتماعية ٦١

المصادر ٦٨

الفهرس ٧٢

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلامٌ على المُرسلين

والحمد لله رب العالمين

صدر حديثًا عن

طنطا - شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

تليفاكس : 3331587 محمول : 0123780573

الرمز البريدى : 31599

موقعنا على الإنترنت : www.dsahab.net

اللؤلؤ المنظم

وغاية الحفاظ

شرح على المنظومة السخاوية في

متشابهات الآيات القرآنية والنظم

للعلامة علم الدين علي السخاوي المصري

بقلم فضيلة الشيخ

محمد أبي الخير مصطفى

الناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا

الجسر المأمون
إلى رواية قالون
من طريقي الشاطبية والطيبة

إعداد
توفيق إبراهيم ضمرة
مدرس التجويد والقراءات في المسجد الحسيني الكبير

تقديم مسند العصر الشيخ
بكري بن الشيخ عبد المجيد الطرابيشي

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

اللغة الجامعية لغير المتخصصين

تأليف
الأستاذ الدكتور عبده الراجحي
أستاذ العلوم اللغوية
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
(١٣٥٦ - ١٤٣١هـ / ١٩٣٧ - ٢٠١٠م)

قرأه واعتنى به
محمود عبد الصمد الجيار

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

إملاء ما من به الرحمن

من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن

المسمى

التبيان

في إعراب القرآن

للإمام

محب الدين أبي البقاء

عبد الله بن الحسين بن عبد الله

العكبري

٥٣٨هـ - ٦١٦هـ

دراسة وتحقيق

أ/ محمد إبراهيم سنبل   د/ إبراهيم جابر علي

مراجعة

عبد الله علوان

٢ مجلد

الناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا

تفسير آيات الأحكام

في أربع مجلدات

للأستاذ الدكتور

القصبي زلط

عضو مجمع البحوث الإسلامية

ونائب رئيس جامعة الأزهر

الناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

طنطا - شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
تليفاكس : 3331587 محمول : 0123780573
الرمز البريدى : 31599
موقعنا على الإنترنت : www.dsahab.net